الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة :

التشكيل اللغوي في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف – التيه أنموذجا –

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة ماستر

من إعداد الطلبة:

- شيماء حساني
- رحمة العايب

إشراف :

أ. د. ياسين بغورة

لجنة المناقشة :

اللقب و الاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
بوعلام رزيق		جامعة البشير الابراهيمي برج بوعريريج	**رئيسا**
ياسين بغورة		جامعة البشير الابراهيمي برج بوعريريج	**مشرفا ومقررا**
ناصر نعماش		جامعة البشير الابراهيمي برج بوعريريج	**ممتحنا**

السنة الجامعية : 1446/1445– 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

تصريح بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي (ة) أسفله،

السيد (ة) ...حساني شيماء..... الصفة: طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 10183288 والصادرة بتاريخ: 2018-02-18

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر،

عنوانها:

التشكيل اللغوي في رواية مدن الملح التيه أنموذجا لعبد الرحمان منيف

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2024-07-10

توقيع المعني (ة)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

تصريح بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي (ة) أسفله،

السيد (ة) ..الوهابب..رحمة..... الصفة: طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 106156074.. والصادرة بتاريخ: 2023/01/11

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر،

عنوانها:

المستقبل التعويضي في دراسة مدى الملمح لعبدالرحمن منيف

(البئية)

أصرح بشرفي أني التزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2024/07/10

توقيع المعني (ة)

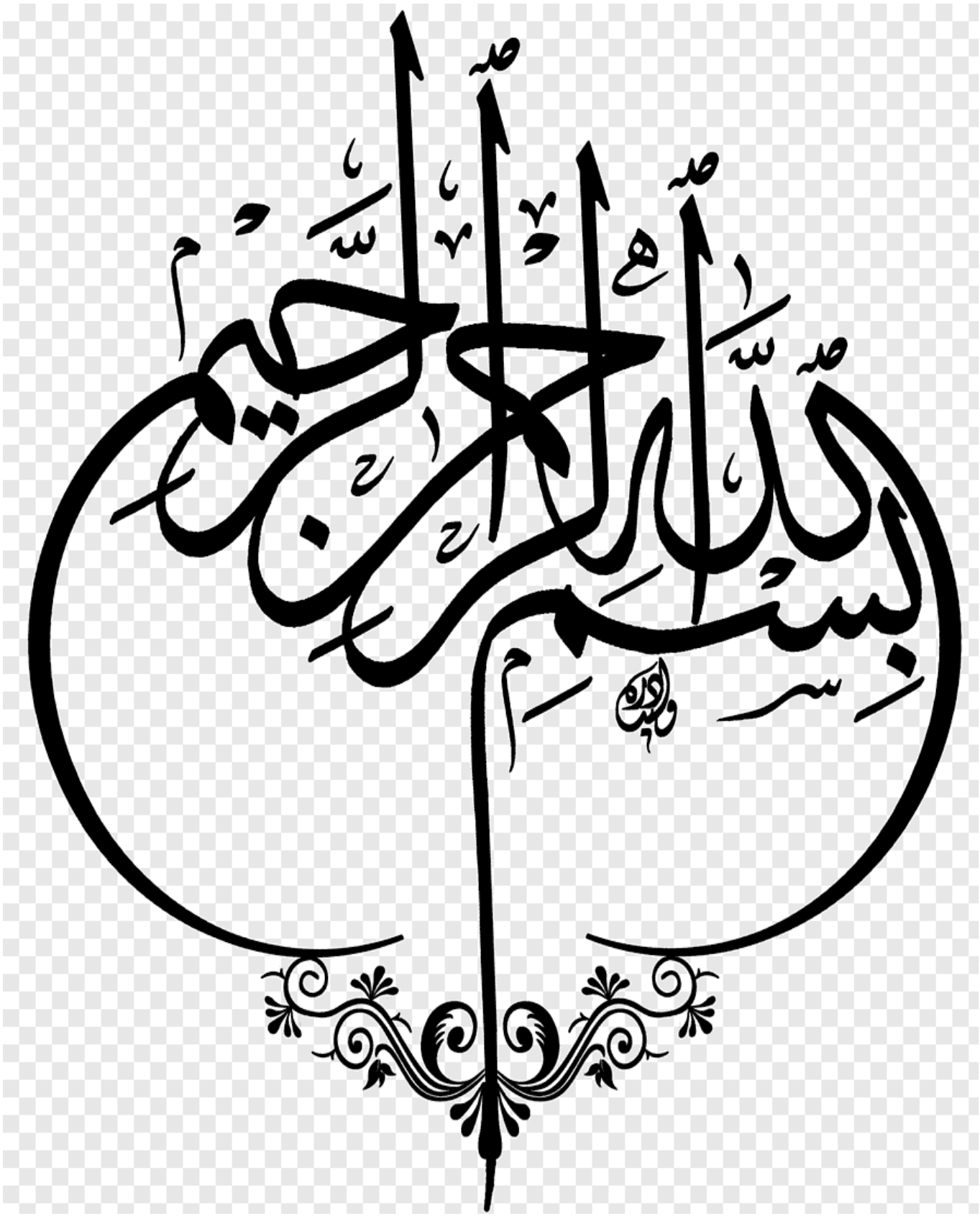
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

بعد شكر الله تعالى القائل في محكم تنزيله:

﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾

وقوله تعالى: ﴿ **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي** ﴾

فلشكر الخالص والصادق لله تعالى وحده، الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع،

فالحمد له أولا ، والشكر له ثانيا، والفضل له ثالثا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

لذا نتقدم بعظيم الشكر والامتنان لاستأذنا المشرف "ياسين بغورة"،

على ما منحنا من وقته الثمين، وعلى اقتراحاته القيمة، وحسن متابعته، ودقة ملاحظاته، في جميع مراحل البحث، والذي لم يكن لهذا البحث أن ينجز دونه.

نسأل الله أن يرزقه راحة و رضا يغمر قلبه، وعملا يرضي الله ، وعفوا يغسل ذنبه .

كما لا ننسى شكر كلية الآداب واللغات .

والشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل

إهداء

قال الله تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ،
ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك،
ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك–جل جلالك –

إلى من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله الهيبة والوقار.... إلى من علمني العطاء دون انتظار.... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... أرجو من الله أن يرحمه ويقبله من الشهداء، وستبقى كلماته أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد

والدي العزيز *موسى حساني*رحمه الله .

إلى ملاكي في الحياة،إلى معنى الحب، وإلى معنى الحنان،
إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي،
وحنانها بلسم لجراحي،إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة **التونسية بلفقاس**

إلى سندي في الدنيا إخوتي الكرام **عنتر – يونس – داود**

وإلى رفيقتي دربي أختي **ريمة – زينب**

وإلى زوجات إخوتي

وإلى زوج أختي **حمزة بوقرة**

وإلى براعم عائلتنا * رميساء – مهدي عبد الرحمان – سندس سيدرا

– تقوى – موسى – أويس – تسنيم – سجدة بلسم *

وإلى زميلتي ورفيقتي التي اجتهدت و تعبت من أجل نجاح هذا البحث

رحمة العايب

وإلى صديقتي ورفيقتي **سارة تريرات**

وإلى الأستاذ المشرف الذي كان خير عون لي **ياسين بغورة**

وإلى أساتذتي من الابتدائي إلى الجامعة

وإلى كل لم يدركهم قلمي أقول لهم بعدتم ولم يبعد عن القلب حبكم

وأنتم في الفؤاد حضور

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شيماء

إهداء

بسم الله الرحمٰن الرحيم :

﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أوتوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير**﴾

أما عن فرحة التخرج فلا اقتباس يوصفها ولا كَلام يعبر عن شعورها و أهديها إلى :

من جعل الله الجنة تحت أقدامها واحتضنتني بقلبها قبل يديها وسهلت لي الشدائد بدعائها إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت لي في الليالي المظلمات سر قوتي ونجاحي ومصباح دربي **أمي الغالية "سليمة شحمي"**

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار وزين اسمي بأجمل الألقاب

إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم إلى من غرس في روحي مكارم الأخلاق ضلعي الثابت الذي لا يميل **أبي الغالي "رابح العايب "**

إلى ملائكتي في الحياة ودقات قلبي **إخوتي " ياسر , سامر "**

إلى صديقة أيامي بمرّها قبل حلوها إلى أخت وهبتني إياها الدنيا حلاوة القلب ودفئ الروح **" شيماء حساني "**

إلى من شددت عضدي به فكان لي ينابيع ارتواء إلى خيرة أيامي وصفوتها **زوجي "نجم الدين "**

إلى صديقاتي ومن جمعتني بهم أسوار الجامعة و واللحظات الجميلة

إلى من ساعدنا في إتمام هذا العمل **الأستاذ المشرف: ياسين بغورة**

رحمة

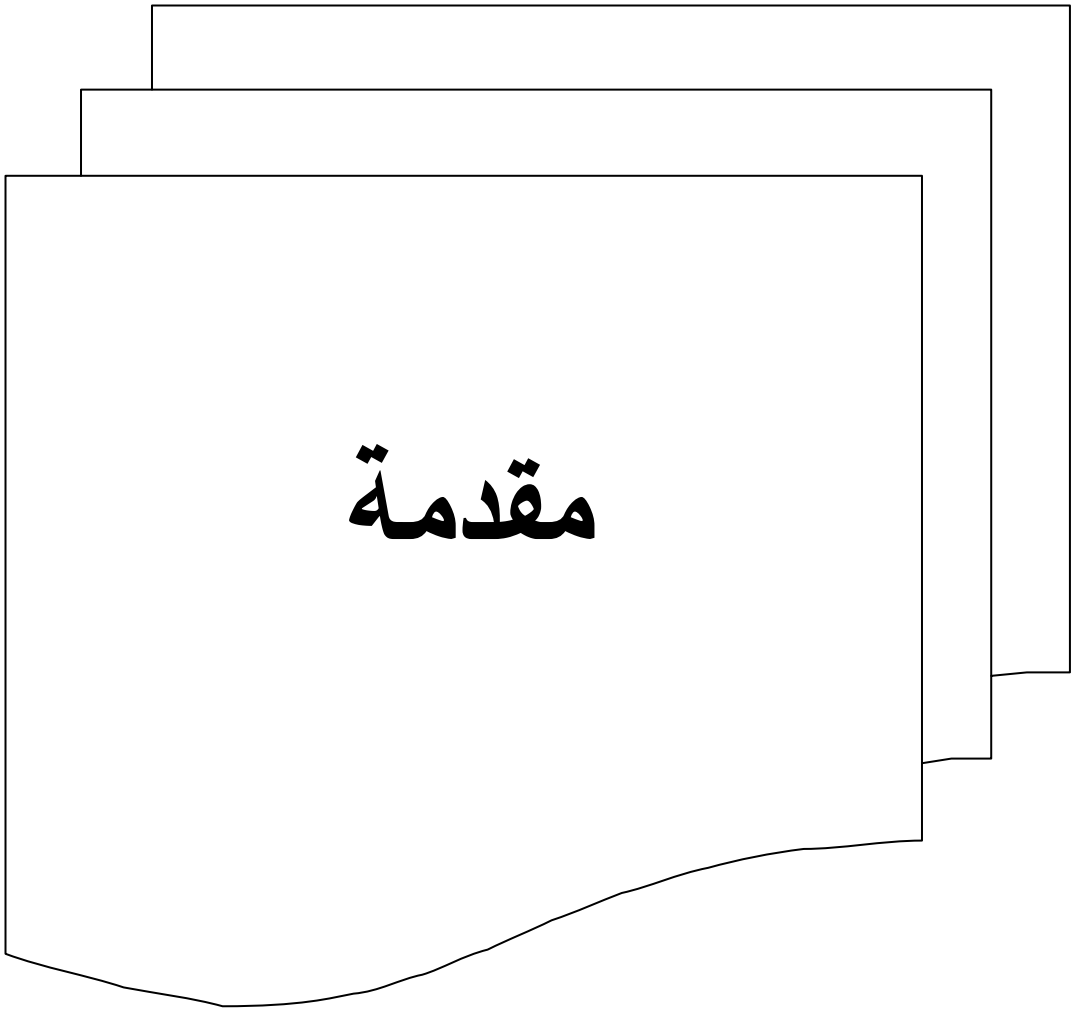
مقدمة

مقدمة :

الرواية هي سرد نثري يصف شخصيات خيالية أو واقعية وأحداثاً على شكل قصة متسلسلة، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث، وهي حكاية تعتمد السرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم وجدل وتغذيه الأحداث.

وتقوم الرواية على عناصر أساسية من سرد و حوار و وصف لكل منهم لغة تخدمه ، فحسن استخدام الكاتب لأدواته الفنية من اللغة والمتمثلة في العناصر اللغوية المتعددة من التصوير والاستعارات والكنايات والبلاغة وغيرها من الأدوات اللغوية الأخرى وتطويعها ضمن اللغة التي يختارها مادة لأحد مقاطعه في عمله الأدبي دليل على مهاراته في تشكيل رواية تجسد اللغة ذاتا و كيانا وينفخ فيها روحا .

ولتشكل اللغة في الإبداع الأدبي عامة مكانة مرموقة تكسب الرواية قيمتها و تميزها عن غيرها ، فاللغة هي الحياة في الرواية فلا تدب إلا و تفنن الروائي وتمكن من إخضاعها بجميع مستوياتها .

ومن هنا يبرز أن اللغة هي الأداة الأساسية في التشكيل الفني للرواية والمعبرة عن أدبيتها والفاصحة عن كيانها وهويتها لا تتجسد من دونها الرواية و لا يكون لها سبيل للخروج إلى النور .

و تتعدد اللغات و تتعدد معها مستوياتها و المستويات التي نقصدها هي التعددية اللغوية في الرواية و التي على أساسها يبني الروائي أطراف روايته ، وبناءا على ما سبق التطرق إليه كانت إشكالية بحثنا :

ما هي أبرز التشكلات اللغوية في رواية مدن الملح "التيه" لعبد الرحمان منيف؟

و أهمية هذا البحث من أهمية موضوعه ، حيث كانت للغة دور بارز في بناء أواصل الرواية ولا يمكن الاستغناء عنها ، فلا رواية تقوم بدون لغة فهي أساس بروز الشخصيات و جميع عناصر الرواية ترتبط بها ارتباطا وثيقا ، مما جعل من دراسة جوانب تشكلها في غاية الأهمية .

و قد تعددت الأهداف التي ترمي إليها الدراسة و لكنها جميعها التفت حول محاولة اكتشاف جماليات التشكل اللغوي في رواية مدن الملح وأبرز آليات و عناصر تشكل اللغة عند الروائي و كيف وظف التعدد اللغوي في عمله الأدبي ؟

أما من حيث أسباب اختيار موضوعنا فكانت منها الذاتية و التي كانت لتذوق براعة اللغة و تشكلها في الرواية ، و منها الموضوعية و التي تمركزت في التطلع على أبرز تشكلات اللغة في العمل الروائي و كيفية إثباتها لذاتها و العناصر التي يعتمد عليها الروائي واسع الرؤى في تعدد اللغات و التحكم في منحنياتها .

و قد سبقتنا من الدراسات :

دراسة جميات منى التي كانت مذكرة لنيل شهادة ماجستير بعنوان التشكيل اللغوي في رواية " وطن من زجاج" لياسمينة صالح ، وفيها أبرزت الباحثة مدى علاقة اللغة بالإبداع الروائي و أهمية تشكل اللغة فيها .

و كذا دراسة فضيلة الفاروق بعنوان التشكلات اللغوية في رواية مزاج مراهقة و التي أبرزت هي الأخرى أهمية اللغة و مكانتها المميزة في الرواية و أنها مفتاح الرؤى الواسعة للأدباء و دليل تشبعهم الأدبي .

و دراسة أخرى لعيسى العيساوي بعنوات جماليات التشكيل اللغوي في رواية تواشيح الورد لمنى بشلم و التي استخلص القول فيها أن الرواية جاءت على تشكيل جمالي في اللغة و تحلت باللغة الشعرية الرامزة و المكثفة .

و بالحديث عن الرواية الجزائرية فقد درس كل من الباحث عبد المجيد بلخوص و ليلى قاسحي التشكيل اللغوي والصوتي في رواية الموت في وهران للحبيب السايح و التي أبرز فيها الباحثان أنها رواية اللغة المبتكرة استثمرت في اللغة في مستوياتها المختلفة و أوجدت لنفسها التعدد و عنصر الكثافة والتنويع.

و اعتمدنا في بحثنا المنهج الوصفي لمقاطع الرواية نستخرج من كل منها اللغة السائدة وكيفية توظيفها و اعتمادها لأي سبب ، و هو من أغراض البحث العلمي .

و كان بحثنا مقسما إلى مدخل يربط بين اللغة و الأدب الروائي ، وفصل أول بعنوان : تجليات التشكيل اللغوي في رواية مدن الملح ، مقسم إلى لغة السرد ولغة الحوار و لغة الوصف ، و فصلا ثانيا بعنوان التعدد اللغوي في رواية مدن الملح و الذي قسمناه إلى اللغة الدينية و اللغة العربية الفصحى و اللغة العامية وأخيرا لغة الجنس . لنصل إلى خاتمة و مجمل قول لدراستنا .

و كانت لنا العديد من المصادر أهمها رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف و المراجع التي اعتمدنا عليها لتثري الرصيد البحثي وتزخر بالمعلومات و المفاهيم المبنية على أيي علمية وأدبية موثوقة .

و أول ما واجهنا من الصعوبات في بداية تحري الرواية صعوبة فهم اللغة العامية كونها لهجة مغايرة لمجتمعنا الجزائري لكننا بالتوالي تآلفنا مع مفرداتها وبتكرار قراءة الرواية وصلت أفكار و معاني الراوي إلينا.

مدخل:التشكيل اللغوي

في الأدب

الروائي/مفاهيم عامة

1. مفهوم اللغة
2. مفهوم النص الأدبي
3. مفهوم التشكيل اللغوي
4. مفهوم الرواية
5. مفهوم السرد و الحوار

1. مفهوم اللغة :

– **اللغة** هي أساس الجمال في العمل الأدبي ، فهي تمنح النص الأدبي شرعية وجوده حيث تبث فيه الحيوية و النشاط ما يبقيه دائم الوجود و الثبات ، فاللغة " شأن يشترك فيه البشر جميعهم ، وهي أقوى أدوات الاتصال ، وأهم وسائل اكتساب المعارف والمعلومات والثقافات ، فاللغة صورة وجود الأمة بأفكارها و معانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه تتحد بها الأمة في صور التفكير ، وأساليب أخذ المعنى من المادة ، و الدقة في تركيب اللغة دليل على دقة ملكات في أهلها و عمقها وهو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير و البحث في الأسباب و العلل" [1].

2. مفهوم النص الأدبي :

– إن **النص الأدبي** هو " نمط من أنماط الاستعمال اللغوي قابل للدرس اللغوي واقع تحت تأثيره، والتشكيل اللغوي هو أحد عناصر هذه الدراسة التي تعنى بتكامل الوظائف اللغوية، وتضافر العلاقات والقرائن بين أجزاء النص لنقل التجربة الشعورية نقلاً متكاملا وواضحا " [2] . فالنص الأدبي يعرف أنه متن الكلام الذي يعبر الأديب عن مشاعره و ما يجول بخاطره و يكون ذلك واضحا في النصوص الأدبية المتنوعة و هي: القصة و الرواية والشعر بجميع أشكاله و الخاطرة والمقال و المسرحية و الخطب بمختلف أشكالها.

3. مفهوم التشكيل اللغوي :

---

[1]. فاضل ناهي عبد العون ، طرائق تدريس اللغة و أساليب تدريسها ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط2، 2014 ، ص 15.

[2]. مراد رفيق البياري ، سعد عبد الله مقداد ، حسام محمد عزمي العفوري ، التشكيل اللغوي في شعر تميم البرغوثي –دراسة في المستوى التركيبي– قصيدة " في القدس" أنموذجا ، مجلة الزرقاء للبحوث و الدراسات الانسانية ، المجلد 21، العدد 02، 2021، ص 272.

مفهوم واسع لا يقتصر على تقصي جوانب النص التركيبية بل دراسته دراسة تكون انعكاسا للمادة اللغوية و كيفية استغلالها ، فالدارس للتشكيلات اللغوية في البناء الأدبي يحاول أن يجمع جميع مستويات التشكيل اللغوي ما يجعله يكشف مكنونات العمل الفني و درره ، فتظهر النتائج على مستوى عالي من التكامل والترابط ، و لا يمكننا تعريف التشكيل اللغوي من دون التطرق لتعريف **التشكيل** :

أ. لغة :جاءت كلمة التشكيل في المعجم الوسيط:" شاكله : شابهه وماثله، شكّل الدابة ونحوها شكلا : قيدها بالشكّال ويقال : شكّلها به : شد قوامها ، والكتاب ضبطه بالشكل شكل اللون: خالطه لون غيره ، و يقال شكّلت العين : خالط بياضها حمرة ، شكّل الشيء : صوّره ، منه الفنون التشكيلية و يقال مسائل شكلية: يهتم فيها بالشكل دون الجوهر و الشبه و المثل و ما يناسب و يصلح لك ، يقال هذا من شكلي ." [1] فالتشكيل لغة له عدة معاني : المشابهة و المماثلة ، القيد ، الضبط ، التصوير ، مطاوعة الشكل.

ب. اصطلاحا : التشكيل من المصطلحات النقدية الحديثة التي تداولها النقاد ، و هو "الصيرورة التي تؤول إليها الأشياء و المكونات لتحقق وحدة متماسكة مترابطة، ووجودا جديدا تحقق فيه مبادئ المزج والتوليف والتنظيم والتنوع والتناغم والإيقاع والانسجام ، فعملها الفني يمثل نزوعا جماليا لتحقيق التشكل ، و تمثل هذه المبادئ قيم السلوك الفني وتقاليده الهادفة لتكوين التشكيل و تحقيق وجوده " [2] . فمصطلح التشكيل مرتبط بالفنون التشكيلية و بالأدب في الدراسات النقدية الحديثة .

---

[1]. إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، اسطنبول ، تركيا ، د.ط، د.س، ص 491، مادة (ش ك ل).

[2]. محمد أمين شيخة ، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث ، رسالة دكتوراه ، جامعة بسكرة ، 2009/2008، ص 19.

و **التشكيل اللغوي** هو من الآليات النقدية التي تحقق للباحث اللساني الولوج على مكنونات النص الأدبي و تكشف له أسراره و دليل لمختلف المكونات اللغوية التي ترابطت و انسجمت أجزاؤها لتنتجه ، فالتشكيل هو الدقة في استعمال الكلمات في النص ذات الدلالة القوية ، وهو ضرورة لابد منها في العمل الأدبي من خلال اختيار الكلمات التي تؤثر في المتلقي فإن غاب التشكيل اللغوي ضاعت أهمية العمل الفني .

و يقول سعيد البحيري " إن الإفهام أو التواصل لا يتحقق إذن إلا بوقوع المخاطب على قصد المتكلم من خلال التشكيل اللغوي الذي يضم العناصر المنطوقة ، و القرائن التي تضم عناصر منطوقة و أخرى غير منطوقة " [1] فالتشكيل اللغوي يقوم بالوقوف على الجوانب الصوتية و الدلالية و النحوية و الصرفية التي تتضامن لتشكل بناءا كاملا يزخرف من معاني و إيحاءات المفردات .

كما يعرف التشكيل اللغوي أنه " النظام اللغوي ويتمثل في محموعة من القواعد التي تضبط اللغة من حيث أصواتها و كلماتها و عباراتها ، و اللغة ثقافة الأمة و عماد نهضتها و حضارتها ، فلابد من العناية بها و معرفة قواعدها لكي يتم التفاهم بين أبناءها ودراسة اللغة دراسة شاملة متكاملة تكون بدراسة أنظمتها و مستوياتها كافة بدءا بالمستوي الصوتي انتهاء بمستواها الدلالي " [2] فبدون التقيد بهذه الضوابط لا يثمر النص بعده الجمالي .

و التشكيل اللغوي يكون في الأدب نثرا كان أم شعرا ، فلا يقوم العمل الفني بدون تشكيل لغوي إلا أن عناصره تختلف من بناء لآخر .

---

[1]. سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ، ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، 2005، ص 264.

[2]. جمعة محمد علوة وآخرون ، دراسات نظرية تطبيقية في اللغة العربية ، دار الكندي ، الأردن ، ط1، 2002،ص 09.

4. مفهوم الرواية :

و الرواية هي إحدى الأعمال الأدبية النثرية التي تحاكي الحياة والواقع الاجتماعي، تعتبر مرآة تعكس وتعالج قضايا متعددة يعيشها المجتمع ، **و الرواية لغة** " من " روى " و هو جريان الماء أو نقله من حال إلى حال " [1] فكلمة الرواية لغة يحمل معنى القول ، ونقل الأخبار و الإرواء بسقي الماء.

و اصطلاحا تعتبر الرواية " شكلا أدبيا متميزا، له ملامحه الخاصة ، وقسماته الواضحة ، هذا الشكل يتخذه بعض الأدباء وسيلة للتعبير عما يريدون التعبير عنه أو هيكلا لتصوير ما يرغبون في تصويره من أشخاص أو أحداث أو مواقف " . [2]

فهي حكاية نثرية تتعدد فيها الشخصيات وتتنوع الأحداث ، تعتمد على أسلوب السرد بكل معالمه بما فيه من وصفٍ وحوارٍ وصراعٍ بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من أزمات وجدلٍ وتغذية الأحداث وصولا للنهاية .

و الرواية سرد نثريّ طويل ، لاستعراض أحداث وشخصيات على شكل قصة متسلسلة ، حيث تعتبر الرواية أكبر الأجناس الأدبية حجما ، كانت في بداياتها اجتماعية و عاطفية القصد منها العادات و التقاليد البالية ، لتتطور و تدخل الأدب فنا مستقلا بذاته . و يختلف التشكيل اللغوي في الشعر عن الرواية ، فحسب ميخائيل باختين " اللغة الأدبية ظاهرة أصيلة بعمق ، فالأمر لا يتعلق باللغة وإنما بحوار لغات " [3] إذ أن التشكيل اللغوي الروائي يقوم على لغة السرد و لغة الحوار .

---

[1]. ابراهيم مصطفى و آخرون ، مرجع سابق ، ص384.

[2]. الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي،دار الجنوب للنشر، تونس،2003، ط2، ص34.

[3]. ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، تر: محمد برادة ، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987، ص 64.

5. مفهوم السرد و الحوار :

أما **السرد** فيعتبر" المصطلح الذي يشتمل على قص حدث ، أو أحداث، أو خبر، أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال " [1] فهو الطريقة التي تحكى بها الأحداث و الأخبار كانت حقيقية أو خيالية و تختلف من راوي لآخر.

كما يشير عبد القادر شرشار أن **(السرد)** " ليس سوى الانطلاق من بداية نحو نهاية معينة، و ما بين البداية و النهاية يتم فعل القص أو الحكي من جانب الراوي، ويتضمن السرد الوقائع و الأحداث في تركيبته اللغوية، و تخضع هذه الوقائع والأحداث لنظام معين لتحترمه " [2] فهو طريقة لنقل الراوي الوقائع ويقيد ببناء خاص ينظمه.

ومصطلح " **علم السرد** حديث النشأة و إن اختلفت ترجمته و تعددت فالأكثر شيوعا مصطلح Narratologie السرديات و مصطلح السردية Narrativité " [3] .

في حين أن **الحوار** يعرف بأنه "حديث بين اثنين أو أكثر تتضمنه وحدة في الوضوح والأسلوب " كما يعد عنصرا مهما من عناصر الرواية فهو " خير أسلوب لمعرفة ورسم الشخصيات[4] ، ويكون فيه القاص قريبا من الناس، فيزيد من حيوية القصة كما يعطي قيمة لعرض الانفعالات والعواطف ويحل محل التحليل والتمثيل.

---

[1]. نفلة حسن احمد ، تقنيات السرد و آليات تشكيله الفني ، دار غيداء ، عمان ، الأردن ، ط1، 2010، ص 15.

[2]. عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب و قضايا النص ، دار المقدس العربي ، وهران ، الجزائر ، ط1، 2009، ص 122.

[3]. جيرالد برانس ، المصطلح السردي ، تر: عابد خزندار ، المجلس الأعلى للشفافة ، الجزيرة ، مصر ، ط1، 2003، ص 148.

[4]. أحمد رحيم كريم ، المصطلح السردي في النقد العربي ، دار الصفاء للنشر ، عمان ، الأردن ، 2012، ص405.

وهو عامل فعال وحاسم للتمييز بين الخطاب الروائي والخطاب الشعري، وهو تمييز يرقى إلى مستوى التباين بين جنسين أدبيين مختلفين تمايزاً جوهريا.

وللحوار دور في " تصعيد الأحداث في الرواية أو القصة وتقديمها ودفعها إلى الأمام باتجاه العقدة أو الحل" [1] ، فقد يكون أساساً صلباً يحمل الرواية حتى النهاية والنجاح، وفي الحوار يتدفق السرد، ويمنح جمالية لمشاهد الرواية.

ويكون الحوار ضرورياً حين الكشف عن شخصية جديدة، أو كشف ناحية من نواحي الشخصية الثقافية والاجتماعية، العرقية والدينية، النفسية والعاطفية. أو عند تلقين القارئ معلومة أو فكرة ما، تاريخية ودينية وفلسفية معقدة. وحين تكثر النصوص السردية مسببة الملل ، في يستحب اختزال الحوارات الترحابية الروتينية بجملة سردية قصيرة، حتى لا يصبح الحوار فائضاً عن الحاجة .

يقول عبد الرحمان منيف«الحوار في الرواية،أية رواية ركن أساسي من أركانها،إذ من خلال الحوار تتكون قسمات الشخصية كما تكتسب المواقف قوة الإقناع " [2] ويتمظهر الحوار في الرواية في أنماط عدّيدة، فهناك :

- **الحوار الخارجي.**
- **والحوار الداخلي،**

[1]. زينب عبد الرضا، المرأة في القصة النسوية القصيرة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية بنات ، جامعة بغداد، 2001، ص 187.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رحلة ضوء تحديات تواجه الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2002، ص 19.

وقد يجمع الحوار إلى جانب اللغة الفصيحة اللغةَ العامية لغة الحياة اليومية، ويعمد الكاتب إلى :

- توظيف التناصات التراثية: القرآنية والأدبية والثقافية،
- إلى جانب استدعاء الشخصيات التاريخية،
- والمأثورات الشعبية؛

الأمر الذي يثري الحوار، ويعمق مقاصدها،ومن جانب آخر يتمظهر الحوار بين الذات وما تحمله من هواجس وتساؤلات.

وتشترك بنية الحوار مع سائر العناصر الفنية في نسيج البناء الروائي وإقامة بنية روائية متكاملة، ويلمسّ الملتقى ثمة علائق ووشائج متينة بين الحوار وعناصر السرد المختلفة، ولا يمكن الفصل بينهما، إذ لا تنافر ولا اضطراب.

وحوار اللغات " ليس حوار قوى اجتماعية في كونية تعايشها وحسب ،إنما حوار أيام وعصور وأزمنة ما يموت منها، وما لا زال يعيش ويولد التعايش والصيرورة يندمجان هنا في وحدة مشخصة " [1] فاللغة في الحوار لغة فريدة من نوعها .

و التشكيل اللغوي الروائي يقوم على عنصر التشكل السردي و لغة الحوار التي تتداخل جميعا في بناء متراص محكم .

فاللغة أهم مكون جمالي وإبداعي في عملية الخلق الروائي بعد أن استغنى الروائي المعاصر عن عدة مكونات سردية مثلك الشخصية والحدث والفضاء، ولكنه لايمكن له أن يستغني عن اللغة في التصوير والتشكيل وسرد الأحداث. وبالتالي، على الروائي أن يكون

[1]. صبحة أحمد علقم ، تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية الرواية الدرامية أنموذجا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، 2006، ص 42.

قادرا على توليدها واستثمارها واستعمالها في أحسن الصيغ الاستعارية والمجازية: تقريرا أو تفجيرا أو إيحاء أو تعيينا.

ولابد أن تكون اللغة تناصية خاضعة للتعدد الحواري والأسلبة والتهجين الأسلوبي، ولكن في إطار مراعاة اللغة العربية الفصحى بقواعدها المعيارية وأبعادها البلاغية والجمالية.

فاللغة و تشكيلاتها تضمن الجمال للنصوص باختلاف أنواعها و ضروريات استعمالها من عامية أو فصحى .

ولقد صدق عبد الملك مرتاض حينما قال:" اللغة هي أساس الجمال في العمل الإبداعي من حيث هو؛ ومن ذلك، الرواية التي ينهض تشكيلها على اللغة بعد أن فقدت الشخصية (PERSONNAGE)كثيرا من الامتيازات الفنية، التي كانت تتمتع بها طوال القرن التاسع عشر، وطوال النصف الأول من القرن العشرين أيضا... إنه لم يبق للرواية شيء آخر غير جمال لغتها، وأناقة نسجها."

الفصل الأول :

تجليات التشكيل اللغوي

في رواية مدن الملح

لعبد الرحمان منيف

أولا : لغة السرد

ثانيا : لغة الحوار

ثالثا : لغة الوصف

الرواية من الأجناس الأدبية الأكثر التصاقا بالإنسان و واقعه فهي مرآة تعكس أحوال الناس و انشغالاتهم ما جعلها تبحث عن لغة خاصة بها ، " لغة تنزل من برجها العاجي و هي تصنع مساحة من الحوار بين الأصوات المتعددة و المنتمية إلى أكثر من انتماء لغوي و ثقافي واحد" [1]، فوضعت الرواية في أولوياتها عملية إخضاع اللغة والخطاب و الأصوات لما يعينها على عمل إبداعي متميز .

إن اللغة جوهر الإبداع الأدبي فهي تثبت جماليته و تعطيه الحياة ، و في هذا الفصل سنسلط الضوء على رواية مدن الملح الجزء الأول " التيه " للكاتب عبد الرحمان منيف لندرس مختلف اللغات التي أدرجها الروائي في لوحته الفنية الإبداعية .

و باعتماد أننا قسمنا اللغات في الرواية إلى ثلاث مستويات ، لغة سردية يستلم الراوي زمامها يقص بها من مجريات الرواية و أحداثها المتوالية الكثير ، و لغة الحوار الذي تتبادله الشخصيات فيما بينها تعبر عما يخالجها في نفسها و تتحادث مع بعضها البعض في مختلف المواضيع ، و أخيرا لغة وصفية يبين فيها الراوي سمات الشخصيات المميزة في الرواية و أوصافهم واختلاف الأزمنة و ما تميزت به وجمالية المكان التي تدور ضمنه أحداث الرواية .

و بتقصي مختلف هذه اللغات نصل لروعة الراوي في اختيار اللغة المناسبة بمختلف أدواتها الفنية لتشكيل رواية ذات سمات جمالية .

[1]. عبد المجيد بلخوص ، ليلى قاسحي ، التشكيل اللغوي و الصوتي في الرواية الجزائرية _رواية الموت في وهران للحبيب السايح أنموذجا_، مجلة اللغة العربية ، المجلد 21، العدد 46، جامعة الجزائر 2،2019، ص304.

أولا : لغة السرد

يعتبر السرد أداة الروائي الأولى " في نسج و إعادة تكييف الأحداث الواقعية وتوزيعها في ثنايا النص الروائي و تمثيل مرجعيات الثقافية والتعبير عن الرؤى والمواقف الرمزية " [1] ، و اللغة تتضمن خاصية امتلاك عناصر السرد كالشخصيات والزمان و المكان وأحداث الرواية لقدرتها على التعبير عنها و تأطيرها ضمن الكتابة السردية ، فاللغة هي الوحيدة القادرة على تمثيل التزاوج بين الواقع الروائي و الخيال الذي يتجلى في البنية اللغوية للخطاب السردي . والبنية اللغوية للسرد تتجسد في رواية مدن الملح "التيه" على نوعين :

1. اللغة السردية المباشرة

اللغة المباشرة في السرد هي لغة الواقع رواية المختارة التيه هي لغة يعبر بها الراوي عن عدة أحداث يعكس فيها الحقيقة المعاشة كقوله :

" **إنهم جزء من العشيرة الكبيرة يعطيهم قوة و شعورا بالثقة ، لذلك ينظرون إلى الأشياء و المال نظرة فيها ترفع و بعض الأحيان الاستهتار، لأنهم على ثقة أن الحياة مهما قست عليهم لا يمكن أن تطحنهم** " [2] عبد الرحمان منيف في هذا المقطع السردي المباشر يشخص قيمة الانتماء إلى العشيرة حيث تخلق جوا من القوة و الثقة لا تكسر ، قوة على مواجهة الحياة بكل تحدي وبلا خوف من فقدان المال الأشياء ففقدانها بالنسبة إليهم لا يعني الكثير باعتبارهم فردا في المجموعة فهو المميز و هو ما يجعلهم أكثر صلابة .

---

[1]. ابراهيم عبد الله ، التمثيل السردي في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة علامات ، العدد 16، المغرب ، 2004، ص 03.

[2]. عبد الرحمان منيف ، مدن الملح التيه، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط11، بيروت ، لبنان ، 2005، ص 16.

" و العتوم في وادي العيون أكثر الناس فقرا لكنهم أكثر الناس ترفعا ... لا يمكن أن يصبح غنيا حتى ولو أراد ... و الناس في وادي العيون أيضا فقراء لكنهم يبدون الرضا عن الحياة التي يعيشونها ... في أوقات معينة يبدون السخط لأن التمر الجاف واللبن و الخبز القاسي الذي يضطرون لأكله أياما متوالية يجعلهم في حالة من العصبية نظرا للآلام التي تتولد في أمعائهم ، ثم ذلك الجفاف الذي يصيب الوجوه و الأطراف وما يعقبه من الضعف حتى إن الرجل إذا قام من مكانه أصابه الدوار وسقط ، والأطفال الذين تظهر عليهم آثار ذلك من النحول والصفرة و بعض الأحيان من القيء و الإسهال " [1] أما في هذا المشهد السردي المباشر فقد صور الراوي حالة الناس من الجوع و الفقر الذي يصيبهم عند انقطاع القوافل ، يسرد سخطهم من الخبز الجاف و التمر و اللبن يوميا بلا قضمة لحم تقوي جلودهم و يعق عن الأمراض التي تحل بأجسامهم من شدة سوء التغذية كبارا و صغارا ما يجعل من ناس وادي العيون رغم فقرهم يحاولون دوما التأقلم مع واقعهم و مسايرته ولو اشتدت المحن .

" و إذا كان الناس لا يزالون يتذكرون جازي الهذال قبل أربعين أو خمسين سنة و ما فعله ضد الأتراك وكيف جعل حياتهم في وادي العيون جحيما لا يطاق ، كيف كان يختفي فترة ... حتى ينفجر مرة أخرى فيقتل و يدمر و يحرق ويأخذ ما يستطيع أخذه و يغيب في الصحراء فترة من الزمن يعتبرها كافية للنسيان فإذا عاد مرة ثانية حوّل الوادي إلى جحيم . لقد فعل جازي ذلك مرات عديدة حتى قبل أن يصبح الأتراك أعداء بنظر الناس ، واستمر كذلك إلى أن تركوا " [2] و هنا الراوي يسرد حدثا تاريخيا عن جازي الهذال البطل الذي حارب الأتراك في الصحراء ببسالة و فطنة ، يختفي يدبر خططه ثم يعود بقوة لينتصر على العديان.

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 17.

[2]. الرجع نفسه ، ص 19.

" مرت اللجنة على مناطق كثيرة في البادية و كانت تحمل أوراقا و دفاتر كبيرة ولم يعرف الناس لماذا جاءت أو الغاية الحقيقة من التسجيل و هذا الخوف دفع الناس في وادي العيون إلى التعامل معها بتحفظ شديد: أخفوا الكثير من المعلومات و لم يذكروا شيئا عن المسافرين ، كذلك لم يسجلوا الإناث و لم يشيروا إليهن أما الذكور فقد سجلوا قسما منهم و لم يسجلوا قسما آخر و زيادة في الحيطة فقد طلب من الصبية بين الثامنة و الرابعة عشرة أن يغيبوا أن يذهبوا إلى البساتين خلال النهار... هذا ما فعله الجميع تقريبا في وادي العيون لأن الجندية كانت تنتظر الشبان كما راجت الإشاعة قبل وصول اللجنة بأسابيع لكن هذا لم يمنع ثلاثة أو أربعة في الوادي من عمل شيء مناقض تماما إذ سجلوا الذكور كلهم و سجلوا المسافرين ، و لم يتردد بعضهم عن إضافة أسماء بعض الذين ماتوا خلال السنوات الأخيرة ذلك أن أحد الجندية قال لهم أن كميات من الطحين و السكر و القماش سوف توزع في الوادي تبعا لعدد الأفراد، سخر الناس من هذه الأخبار و أكدوا أنها مجرد أكاذيب فالحكومة لم تفعل ذلك حتى في السنوات التي مات خلالها الناس عطشا " (1)

سرد الراوي حقائق الإحصاء السكاني الذي قامت به الحكومة للمناطق النائية حيث روى عن الدفاتر التي كان يحملها عمال اللجنة و طلبهم لمعلومات عدد الأبناء ، لكن انعدام الثقة بين الحكومة و مواطنيها جعل الأغلبية منهم يكذبون خوفا من تجنيد أبناءهم و للحيطة أكثر أرسلوهم بعيدا ليضمنوا سلامتهم ، أما الإناث فلم يتحدثوا عنهم مطلقا في حين فئة قليلة منهم طمعا في المؤونة سجلوا أولادهم حتى المتوفيين و المسافرين حتى يكسبوا قفة اكبر ، خبر تزويد أفراد وادي العيون بالمؤونة كان محل سخرية لأن الحكومة لم تنظر إلى حالهم سبقا و قد كانوا في محنة عطش شديد .

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 27.

" المرأة تركض مثل الكلبة لأية كلمة تتعلق بالخوش تصدق كل ما يقال لها و تبو في حالات كثيرة أقرب إلى الأطفال في ابتسامتها و ركضها حتى إذا اصطدمت بالفراغ بوحشة الأمكنة بلاشيء اقتعدت الأرض و بدأت تبكي ، كان بكاؤها يقطع القلوب يسحقها و الأطفال الذين تسببوا في كل ذلك حتى هؤلاء أو بعضهم يصاب بحالة من الألم و الانفعال حين يرونها قد انهارت و أصبحت كومة من النشيج " (1)

يحاكي منيف في هذا المقطع المباشر عظمة قلب الأم و تعلقها بأبنائها و حنانها منقطع النظير ، فكيف أم الخوش كلمة تجعل منها تركض لملاقاة ابنها ، و سرد مرارة الخذلان وتفطر قلب الأم عند عدم ايجاد فلذة كبدها .

" و ما كاد المعسكر يقام و الأحمال تنزل و تنظم و الرجال يخططون الأرض ويقيمون سياجا من الأسلاك وراءه أخشاب بيضاء قصيرة ثم ينثرون مواد غريبة حول الخيام ويرشون الأرض بماء له رائحة نافذة حتى بدأوا يفتحون صندوقا خشبيا و يخرجون منه قطعا حديدية سوداء ، و خلال فترة قصيرة أخذ صوت يشبه الرعد يهدر ن هذه الآلة ففزع البشر و الحيوانات و الطيور " (2)

يروي منيف تفاصيل اقامة المعسكر و احتلاله للمنطقة و تسييجها و بداية تركيب آلات الحفر لاستخراج النفط و التي كان لها صوت دوي أخاف الناس و الحيوانات كون البادية ألفت السكون و الطبيعة .

فاللغة السردية المباشرة لغة سهلة مفهومة ميسرة ، يروي فيها الكاتب تسلسلا من الأحداث بواقعية تلامس الصميم و القلب و يفهمها القارئ من أول كلمة فهي لغة التعامل اليومي دلالتها مفروغ منها لا تستدعي جدلا و لا تحليلا .

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 68.

2. المرجع نفسه ، ص 73.

2. اللغة السردية المجازية

اللغة المجازية للسرد عكس اللغة المباشرة تحرك الخيال و تذهب بعقل القارئ لدلالات عديدة ، و قد قال منيف :

" أية أشواق تثوي قلوب الرجال في هذا المكان النائي من العالم و أية أفراح يمكن أن يفجرها الغناء ؟ و هل هذا الحزن كله من أين يأتي و لماذا هو كثيف طاغ كذا ؟" [1]

هنا الراوي خرج عن المألوف و دخل عالم المجاز ، يطمع أن يفجر الغناء كالقنبلة الموقوتة الفرح الذي دفن و لم يعثر عليه سكان الوادي ، و راح للحزن فوصفه بالكثيف الطاغي الذي غلق سبيل الفرح و البهجة و قطع طريقها .

" إن الأفكار و الشهوات تتفجر تطير في المدى المتطاول حتى إذا وصلت الباخرة ولامست أجسادهن ارتدت مثل كرة النار فخضت القلوب و العيون وولدت اضطرابا لا يعرف كيف يمكن أن يدارى ... كيف يمكن أن يتحملوا مرورهن أو اقترابهن دون أن يحترقوا ؟ دون أن يتحولوا إلى بارود و ينزرعوا كالأوتاد في كل ناحية من هذه الأجساد الدافئة الشهية ؟ " [2]

سرد الراوي في هذا المقطع عن النسوة الأجنبيات على ظهر السفينة و اللواتي كنّ جاذبات للنظر و الفتنة مستعملا لغة المجاز حيث جعل من الأفكار و الشهوات قنابل تود الانفجار و التطاير لتصل السفينة و تلامس النساء فيها و سرد بذات اللغة اضطرابهم غير المعهود و اختتم تشبيه النسوة بالنار تحرق الأجساد عند المرور بها وشبه الرجال بالبارود لابد له من الابتعاد عن النار و إلا انفجر ، و كذا شبه دورانهم حول النسوة بالأوتاد المغروسة .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 259.

[2]. المرجع نفسه ، ص 405-406.1

ثانيا : لغة الحوار

الحوار أحد مستويات الأداء اللغوي يكسر رتابة السرد ، فهو يعطي الحرية للشخصيات لترجمة أفكارها و مواقفها ، و لغة الحوار من الاشكاليات العويصة التي نالت من النقد الكثير و ذلك لاستعمال اللغة العامية أو اللغة الفصحى ، حيث من النقاد من رفض اللغة العامية بشدة و استهان بها باعتبارها لغة ركيكة ، و بعض منهم جعل منها لغة حوار الشخصيات لتبرز ثقافة الشخصية ومدى توسعها في واقعية كبيرة .

ولغة الحوار هي الأخرى تنقسم إلى شطرين :

1.لغة الحوار الداخلي

و هو مناجاة النفس و الخطاب الذي يكون بين الإنسان و نفسه يكلمها و يحادثها بما تهواه و ما يشاركها آمالها و أحزانها و مثلها حين :

عبر الراوي عن الفرحة الداخلية التي إجتاحت متعب الهذال بخبر ابنه مقبل ما جعله يهمس لنفسه و يكلمها لكن رغم فرحته إلا أن إحساسا غريبا من الحزن تمالكه خوف من المستقبل أو حاسة سادسة بما كان سيحدث .

" قال متعب الهذال لنفسه : إذا أقبلت .. أقبلت ... قال في نفسه لو كان الولد الأول أو لو كان الوقت غير الوقت ... مرت حول عينيه شريط حياته كلها تذكر أول أسفاره ، تذكر نفسه حين كان صغيرا أما حين تذكر وضحة لما جاءته بأول ولد فقد ابتسم ... قال لنفسه بنوع من الحزن :كانت الأيام الماضية أيام خير ..أحسن من هذه الأيام ... قال في نفسه اللهم اجعلها أيام خير و اجعلنا أقوى و أكثر صبرا ... كان متعب يكلم نفسه يكلم الآخرين " [1] فكلّم متعب الهذال نفسه ويسألها و يشاورها بدافع السرور و الأمل .

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 20-24.

" قالت وضحة ، و هي ترمي الدثار السميك فوق متعب الهذال ، رغم الحر الذي أخذ يملأ ذرات الهواء :

– إذت مرت هذه الحمى دون أن تقتله يمكن أن يعيش و يبلغ المائة .

هزت كتفيها و بعد فترة صمت قالت كأنها تخاطب نفسها :

– من يوم ما جاء أولاد الحرام الثلاثة دخله عفريت ، و بدل أن يخرج العفريت من رأسه حضنه كما تحضن الدجاجة البيض ، و الآن الحمى تقتله ، و هذي هي حمى العفاريت .

لم يفهم أحد وضحة و لم يجرؤ أحد على معاودة السؤال " [1]

و في هذه المرة كانت وضحة زوجة متعب الهذال من تكلم نفسها و تهمس بينها و بين روحها عن حالة مذهب الهذال التي وصل إليها بسبب الأمريكان الشياطين و كيف أنه خزن التعب وحضن الشقاء و عناء التفكير حتى مرض .

" قال ابن نفاع بنوع من التأنيب غير الشديد :

– الليلة ماهي بليلتكم ، الليلة ليلة غيركم ... يا جماعة الخير .

و لما لم يسمعه أحد أضاف يخاطب نفسه :

– إذا رنت الطاسة طلعت ألف رقاصة ... و هذه هي العفاريت طلعت " [2]

و استعمل الراوي هنا اللغة العامية لغة الحوار الداخلي لابن نفاع ، حيث أنه كلم الناس ولم يسمعوه فكلم نفسه بمثل شعبي ، حيث كان يود انتهاء العرس لراحة العرسان لكن القوم أبوا وطلعت عفاريتهم اثر الغناء و البهجة و لم يتمالكوا أنفسهم.

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 99.

[2]. المرجع نفسه ، ص 394.

2. لغة الحوار الخارجي

و الذي يكون في حوار الشخصيات ببعضها البعض عن مواضيع عديدة و قد تضمنت الرواية البنية الحوارية الخارجية حين قال :

" خزنة الحسن بصوت مضطرب خشن : دم مفضي برقابكم برقبة كل واحد منكم، زفر عبده محمد وقال بصوت عصبي :إذا ما أخذت تارك يا مفضي ما أكون عبده.

قال سلمان بصوت بطيء : القاتل ما هو واحد ...و تابع : نعم القاتل أكثر من واحد.. و المفضي مات مرتين.

وقال ابن نفاع: القاتل واحد و ذاك هو أكبر من الجبل و كل واحد عارفه .

- **والله لو كان أكبر راس ما يفلت من عبده . هكذا قال عبده بعصبية .**
- **تابع سلمان : أول مرة قتله جماعة أبو سنان الذهب و الثانية قتله الأرناؤوطي.**
- **قال أحد أقرباء ابن نفاع : و الله صحيح لو جاء الطبيب لو أسعفه يمكن انكتبت له حياة ثانية .**
- **رد ابن نفاع بغضب : اتركوا هذي السوالف ما قتل مفضي إلا الأمريكان هم أصل السبب و أصل البلا .**
- **من يوم ما جاءوا من يوم ما داسوا حران و نحن مثل بول البعير كل يوم لورا .**

هذا الحديث أو ما يقاربه جرى في كل بيت و في المعسكر " (1)

في هذا المقطع نقل الراوي الحوار الخارجي بين أهل حران حول مقتل المفضي و من السبب في ذلك ، و نلاحظ تعدد الشخصيات في الحوار و كلامها في أغلبه باللغة العامية التي تداولها أهل حران للتعبير عن أسفهم الشديد لما حصل لمفضي وكيف أن الأمريكان السبب وراء كل البلايا التي حصلت بمنطقتهم و لم يستطيعوا لهم ردعا.

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 559-560.

"- يجوز إنهم سافروا لكن ما يندري يرجعون أو ما يرجعون ... شفنا قبلهم كثيرين راحوا بس اللي يجون ما هم دائما أخير، و يمكن نترحم على اللي راحوا اليوم .

قال ابن عساف و هو لا يخفي فرحه :

- **المهم خلصنا من هذي البلية يا ابو عثمان كانت على صدورنا و قلت يموتونا قبل ما يموتون .**
- **البلية و أنت الصادق اللي على صدرنا ذيك و أنت تعرفها .**
- **جوهر و عم جوهر كانوا بلايا يا أبو عثمان .**
- **و طريق البحر ؟**
- **الطريق ماهو طريق عجرة و لا طريق البحر الطريق يا جماعة الخير هو اللي يأخذ الجماعة و بعدها ما يردون " (1)**

اتخذ الراوي الحوار الخارجي بين الشخصيات التي تتابع مجريات آخر الأحداث من مرض الأمير خالد و ذهابه عن البلاد ، و استعمل أسلوب الاستفهام سؤال و جواب بين المحادثة ليكشف تأثر البلاد و العباد بما قام به الأمريكان .

" و يدفع للبدوي القطعة المعدنية و الورقة :

- **الحديدة ترجعها للمكتب قبل ما تسافر و الورقة تسلمها للسائق .**

يضيف عبود :

- **إذا ضيعتهم ما تركب ولا لك عندنا شيء .. تسمع ؟**
- **و متى نسافر ؟**
- **إذا عشنا السفر يكون باكر أو اللي عقبه.**
- **بعد صلاة العصر ؟ باكر؟**
- **تعال الظهر**

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص609.

- **و السفر متى ؟**
- **نريد بعد كم راكب ، إذا جاءوا نسافر اليوم .**
- **و باكر إذا وصلتها إن شاء الله تتوفق و ما أظنك تتركها ."** [1]

كان هذا الحوار الخارجي بين عبود رئيس مكتب سفريات البادية و بدوي يود السفر إلى حران ، فقد أبرز الراوي كيف تتم المعاملات عند السفر في الخطوط وكيف يصطاد عبود المسافرين و يقبض مالهم بدهاء و يجمعهم حتى موعد السفر .

"– أنت مسلم أليس كذلك ؟

- **هل تصلي ؟**
- **بعض الأوقات**
- **لماذا بعض الأوقات .**
- **نلحق على الصلاة !**
- **يا جماعة الصلاة لله الصلاة ماهي للعبد .**
- **ماذا تقوم به من غير الصلاة من واجبات دينية ؟**
- **أصوم**
- **هل تحب الشيخ ؟"** [2]

هو أحد الحوارات الخارجية بين أحد العمال و جماعة من الأمريكان أرادوا اكتشاف صلة البدويين بربهم و دينهم و مدى تعلقهم ببعضهم البعض .

و قد كان على صيغة أسئلة يطرحونها على العامل و يجيب العامل بما يلزم ، إلا أنها كانت استفسارات مقصودة البعد و المدى .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 450.

[2]. المرجع نفسه ، ص 315–316.

ثالثا : لغة الوصف

الوصف و السرد بينهما علاقة تكاملية ، و الوصف خرج من دائرة الوصف المرئي للأشياء والشخصيات الروائية و أصبح " يؤكد وظيفته الخلاقة لأنه يشيد المعنى وحده أو على الأصح يشيد معاني متعددة ذات طبيعة رمزية " [1] ما يساهم في بناء مغاير ومميز.

و يؤدي الوصف وظيفة " :

- تعبيرية
- جمالية
- تصويرية
- تخيلية
- فضلا عما يساهم به من االبطاء لسيرورة الزمن
- أو حتى ايقافها داخل العمل الروائي

و في اتحاد كل هذه الوظائف يتمكن و بفضل اللغة من نقل الموصوف من صورته الواقعية الحقيقية إلى صورة متخيلة ضمن أسلوب لغوي يصل إلى ذهن المتلقي في شكل صور فنية محكمة البناء و مترابطة الأجزاء ثرية بالأبعاد و الدلالات الجمالية والسمات الفنية للعناصر المشكلة فيها " [2] .

و ترتبط لغة الوصف بالشخصيات و الزمان و المكان و حتى الأحداث .

---

[1]. جميات منى ، التشكيل اللغوي في رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح ، مذكرة ماجستير في مشروع الرواية العربية بين الكلاسيكية و الحداثة في الجزائر ، جامعة تيارت ، 2010-2011، ص 88.

[2]. أحلام مناصرية ، جماليات لغة الوصف في الرواية النسوية الجزائرية مجلة المدونة ، المجلد 07، العدد 01، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2020، ص 214.

1. لغة وصف الشخصيات

لا يمكن تصور رواية دون شخصيات ، "فالشخصية تعتبر من أهم مكونات العمل السردي فلا يمكن للواقع الاستغناء عن الشخصية " [1]

و تنقسم الى شخصيات رئيسية تكون هي الشخصيات المصيرية و التي تعتبر محرك الرواية تتمحور حولها كل الوظائف و العواطف المعبرة عن الأفكار و الآراء ، تساهم في صنع الحدث و حبك القصة و تغييرها ، و شخصيات ثانوية تربط الأحداث و كذا شخصيات ثابتة لا تتأثر و لا يطالها التغيير .

و الرواية التي بين أيدينا كانت مزيجا مترابطا من الشخصيات لا يمكن فصل شخصية عن أخرى كون لكل منها دورا بارزا في الرواية ، و لكل شخصية لغتها التي تعبر عن مختلجاتها و تؤدي بها دورها الفريد في الحدث ، و أول شخصية استوقفتنا و التي تعتبر شخصية رئيسية "متعب الهذال " الذي كانت له صلة عميقة مع وادي العيون .

"لو ترك لمتعب الهذال أن يتحدث عن وادي العيون لقال كلاما لا يصدقه أحد ... بين متعب الهذال ووادي العيون علاقة خاصة ، عشق من نوع لا يتكرر كثيرا" [2]

هكذا وصف الراوي تمسك متعب الهذال و حبه لوادي العيون فأعطاه شرف حب الوطن والدفاع عنه و كانت لغة متعب الهذال تعكس مدى تعلقه ببلده يراه أجمل مكان على الإطلاق يروي عنه الأساطير و يصفه كما وصفه الراوي عاشقا مولعا مفتونا بوادي العيون .

---

[1]. عبد القادر شرشال ، خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي ، دراسة تحليلية ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية بيروت ، مصر ، 2005 ، ص 89 .

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 10.

وجازي الهذال الذي وصف الراوي شجاعته في الدفاع عن بلده ضد الأتراك و قوته في الحد منهم : " **وآل العون و منهم جازي الهذال و قبله أبوه متعب ... يتذكرون جازي الهذال قبل أربعين أو خمسين سنة ... لقد فعل جازي ذلك مرات عديدة** " [1]

لتبين أصول متعب ، فبينت أن متعب آل العون المعروفون بالبسالة و الاستماتة في سبيل الوطن و هي الخصلة التي توارثها متعب من أجداده .

و قد سرد الراوي يوم ولادة " مقبل" وأشاد بفرحة متعب وسروره بولده ، واصفا شعوره الفريد من نوعه " **سار بصمت لكن توهجا داخليا أقرب إلى الصخب كان يدفع متعب الهذال ... و ضحك بصوت عال ... أولم وليمة كبيرة ، ذبح خروفا** " [2].

و في هذه الواقعة وصف الراوي شخصية متعب الهذال من حيث العائلة و ترحيبه بابنه الجديد ووصف زوجته و أخته سارة التي كانت تربي في الرضيع و تتآنس معه ووصف ابنه الأكبر شعلان و كيف دوت طلقته الوادي .

- " ابن راشد " من الشخصيات التي دارت حولها العديد من الأحداث ، فقد نال الطمع من صفاته الكثير ، و ذكر بصفة كبيرة بعد انتقاله إلى حران و توليه رئاسة حران العرب التي تحايل على الناس و اشترى أراضيهم بالبخس .

"**وابن راشد الذي بدا شخصا مختلفا منذ أن وصل هؤلاء الأجانب ، و بالغ بالكرم والعناية وكأنه كان عالما بوصولهم بالغ في كل شيء حتى في الحديث و التصرف ... بدا ابن راشد خائفا مستسلما أكثر مما ينبغي أمام هؤلاء** " [3]

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 19.

[2]. المرجع نفسه ، ص 21.

[3]. المرجع نفسه ، ص 38-39.

في هذا المقطع من وصف شخصية ابن راشد تبنى الراوي اللغة العربية الفصحى كلغة لوصفه تغير طباع ابن راشد و تأثير الأجانب على تصرفاته التي كانت تبدو للعيان أنها مصطنعة لا تمت لشخصيته الحقيقية بشيء.

" كان ابن راشد شديد القلق و الحيرة ، فهو بمقدار ما يريد تدعيم ثقة الأمير به كان يخشى أن تنهار هذه الثقة لو بحث موضوع هاجم و أخيه مزبان... كانت الأفكار والصور تتراكض في رأسه فيشعر أنه محاصر و أنه مهدد ... قال الأمير و هو يتطلع في وجه ابن الراشد : أشوفك صافن يا ابن الراشد ... كان ابن الراشد و هو يتكلم يحرك يديه و ينتظر رد فعل الأمير ، كان ينظر بعينين خائفتين " (1)

استعمل الراوي لغة وصف حالة ابن راشد باللغة العامية حين كلمه الأمير فوصفه بالصافن أي الذي عقله في مكان آخر و باللغة العربية أنه كان خائفا و متوترا من رد الأمير عن واقعة هاجم و أخيه و كيف سيتقبلها الأمير وما قد يمكن أن يهدم من الثقة بينهما والتي كان يبنيها ابن راشد بكل أريحية قبل هذه الواقعة ، و كذا وصف منيف حركة يدي ابن راشد و عينيه مؤكدا على اضطرابه و الهلع الذي كان يعيشه في انتظار جواب الأمير . و كذا كان ابن راشد الشخصية التي كانت تتواطأ مع الأجانب لأجل مصالحه الخاصة، وقد اختار الراوي له نهاية موت تليق بأعماله و تناسبها .

- الأمير خالد المشاري : الذي كان يمثل رئيس الحكومة و الذي رغم عدم لينه مع الأمريكان في بداية الأمر و تمسكه بالعادات و التقاليد إلا أنه في نهاية الأمر لان لهم وذلك لاكتشافه عالما غريبا عنه جذبه في صفه ، و كانت نهايته في الرواية الجنون والهذيان.

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 348-350.

– حسن الرضائي : الشخصية المثقفة و الدارية بمجريات العالم وآخر اختراعاته والتي كانت تنقل الجديد من الآلات للأمير و تبهره بها

" انفتحت عيون الأمير دهشة و اهتز رأسه اهتزازا موصولا دلالة أنه فهم و استوعب تماما ما قاله حسن الرضائي و ظل صامتا مترقبا الخطوة التالية ... قال حسن الرضائي و قد تغيرت لهجته ... ازدادت الدهشة على وجه الأمير و خالطها نوع من الخوف ... قال حسن الرضائي و هو يفرك يديه و يبتسم بثقة ... كانت نظرات تياؤل و خوف ، فقد أجفل الحضور جميعا ... أنا الأمير فقد غير جلسته ..أما الأمير فقد تحرك بجسده كله و اقترب من الصندوق و كانت ابتسامته تملأ وجهه ... بطريقة خفية شديدة المهارة و بحركة لم يرها الكثيرون لسرعتها أوقف حسن الرضائي الموسيقى ... ومثل طفل يقترب من النار سبق أن عرف معناها اقترب الأمير و بصبر و انتباه وبدأ يحرك حسب ارشاداته" [1]

كان هذا المقطع فيه لغة الوصف لشخصية الأمير خالد حين تعرفه على جهاز الراديو لأول مرة و كيف اندهش من الصندوق و عجائبه ، ووصف ثقة حسن الرضائي بنفسه وهو يشغل الجهاز بمهارة و خفة كبيرة أدهشت الجماعة .

و لغة الوصف في الشخصيتين اختارها الراوي عربية فصحى مستعملا كلمات مميزة متناسقة لوصف حالة كل منهما .

و لغة وصف الشخصيات تعكس قيمة الشخصية و مدى ثقافتها ، فمثلا الأمير خالد كان زعيما على قومه ما أوجب لغة وصفه أن تكون منتقاة غير مبتذلة و يكون واسع البال أغلب أوصافه تتعلق بالسياسة ، في حين حسن الرضائي إنسان جاب الأرض وعاصر تكنولوجيا التقدم ما كان للغته البراعة و الخفة .

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 417–419

- صويلح إحدى الشخصيات التي التصقت بشخصية فواز ابن متعب الهذال صديقه الوفي و قد وصفه الراوي :

" كريم العين صويلح أقوى شباب الحدرة أكثرهم صخبا في المناسبات و ليالي القمر وأجرؤهم على التحدي ... أصيب بالخرس ... حتى الفلاة التي امتلأت بغناء صويلح وصخبه غرقت في سكون رصاصي ثقيل ... متوحدا هزيلا أقرب إلى المرض " [1]

وصفه الراوي صويلح أنها شخصية مثابرة نشيطة مفعمة بالحيوية الا أنها تأثرت برفض ابن راشد طلب العمل بسبب عيب في عينه أصابه بالاحباط و المرض .

- الخوش الولد الذي جنت أمه بعد غيابه عنها في سفر طال و طال معها أملها حتى عاد ، و قد وصف الراوي رجوعه :

" جاء الخوش لقد بدلته الأيام كثيرا الشاب الصغير ابن السابعة عشر عاما الذي راح في قافلة السالمي يرجع مكتمل الرجولة بل أكرب إلى الكهول ... التجاعيد الصغيرة تظهر بوضوح حين يبتسم و حين يغرق في التفكير و الذكرى ، السمرة القاسية التي تغطي الأماكن المكشوفة من جسده فإذا شمر برزت الألوان متناقضة مثيرة للتساؤل والعجب أما الملامح فقد ظلت هي نفسها أو تغيرت تغيرا طفيفا ." [2]

استعمل الراوي اللغة العربية الفصيحة لغة لوصف التغيرات التي طرأت على الخوض حين سنين غيابه ، فقد كبر من شاب إلى كهل متكامل الصفات شديد الصحة ، وصف تجاعيده التي برزت و سمرته التي اكتسحت الأماكن الظاهرة من لباسه و الدالة على لسعات الشمس له لعدة سنوات ما جعلها داكنة مغايرة عن باقي جلده ، أما الملامح فقد قال عنها الراوي أنها بقيت ذاتها .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 158.

[2]. المرجع نفسه ، ص 170.

– **غافل السويد** : أمير سابق لحران شخصية هادئة لا يحب الإزعاج يحب التنقل والشعر :

" غافل السويد أمير حران منذ زمن لا يتذكره أحد ، أمير ليس كالأمراء لا يزعج أحدا ولا يحب لأحد أن يزعجه ،لا يحب السلطة و لا يحب حران قدر ما يحب القصيد والبادية ، يحفظ الكثير من الشعر يتذوقه و بعض الأحيان يغنيه و من أجل قصيدة يذهب إلى أقصى مكان في البادية ليرى قائلها أو يسمعها من الثقات ... لم يجد شيئا يقوله لهؤلاء المهابيل الذين يجلسون مقابل البحر صافنين و لا يفعلون شيئا آخر... يوغل البادية ... فوجئ تماما و ارتبك بعض الوقت ... كنا بمصيبة هالحين وقعت علينا كل المصايب ... وكدتهم؟ شفت وجوههم ؟ " (1)

و كان غافل السويد أميرا لحران قبل الأمير خالد ، ووصف منيف شخصية غافل السويد أنها هادئة مثقفة غاوية للشعر ، و أبدى عدم حبه لحران و سكانها للاختلاف الثقافي بينهم و بينهم يراهم مجانين ، وكذا هو إنسان يكره المشاكل و يهرب منها حيث ترك حران أغلب الوقت لوزيره الأسود و لما رأى الأجانب و أيقن المصائب من جرتهم ترك الإمارة .

و في هذا المقطع لغة وصف الشخصية كانت موصولة بأسلوب النفي مما زاد الوصف جمالا و بهاء .

و غيرها من الشخصيات الكثير من أبدع منيف في وصفها بلغة تسلب العقول و القلوب و تشد الأنظار مما يضيف حيوية للرواية و متعة .

2. لغة الزمان و المكان

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 264.

أ. لغة الزمان :

الزمن محور الرواية و عمودها الفقري التي تدور حوله الرواية و تلتف أحداثها ، "الزمن هو وجودنا نفسه " [1] فالزمن حقيقة مجردة أي أنه وهمي لكنه محسوس .

و ينقسم الى : زمن القصة ، زمن الخطاب : و هو زمن السرد ، زمن النص : و هو الزمن الذي يستغرقه الكاتب في انتاج النص ، أو الزمن الذي يستغرقه القارئ في قراءته لنصه .

كانت الظروف المتعلقة بالزمان في الرواية منتشرة بكثرة ، فلا يمر مقطع إلا وذكر ظرف زمني أو ما تعلق به ، و منها الوقت ، اليوم ، ، السنة ، الليل ، الغد ، سنوات الجفاف ، أوقات ، السن ، أمد، اللحظة ، السرعة ، الأحيان ، النهار ... الخ

و منها الفصول : الشتاء ، الربيع، المواسم، الخريف، الصيف، موسم الحج . و كذا أوقات الصلاة : الفجر ، الظهر ، العصر ، المغرب .

و تعتبر رواية مدن الملح من الروايات المعقدة زمنيا ، فالراوي يحكي في زمن قديم ثم يقفز بثغرة زمنية كبيرة لزمن آخر ، و تارة يمشي بتسلسل زمني ثابت و تارة يعود بالزمن للذكريات ما يكسب الرواية طبعا فنيا جميلا .

و باعتبار الرواية تحكي حدث اكتشاف النفط في السعودية وتاريخه جعل من الزمان يتحدد في كل حادثة و يوثقها ، فنلاحظ أن الأحداث جميعها تتوالى وكل حدث يسجل كتاريخ وصول الأمريكان و بداية الأشغال و وصول السفينة و غيرها .

* **المفارقات الزمنية : (الاسترجاع و الاستباق)**

[1]. مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 2004 ، ص36.

تحدث عندما يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة ، سواء بتقديم حدث على اخر ، أو استرجاع حدث ، أو استباق حدث قبل وقوعه ، فالمفارقة الزمنية إما أن تكون استرجاعا لإحداث ماضية ، لحظة الحاضر ، أو استبقا لأحداث لاحقة و في هذه المفارقات اتصلت اللغة الوصفية للزمان بالسرد و زادت مميزاته لتخرجه من الملل.

❖ **الاسترجاع :**

يعتبر الاسترجاع من " من أهم الآليات السردية التي ظهرت في الأنواع السردية كافة ، سواء على مستوى استرجاع القصة كلها ، أو على مستوى اعادة ترتيب الأحداث وفق موقف يتخذه السارد و يتبناه في خطابه النهائي " [1] . و هي ثلاثة انواع : (الخارجي، الداخلي ، المزجي)[2].

○ **الاسترجاع الخارجي :**

هذا النوع من الاسترجاع يمثل الوقائع الماضية التي حدثت قبل بدء الحاضر ويستحضرها الراوي أثناء السرد و تعد زمنا خارجا عن الأحداث الحاضرة في الرواية، و الاسترجاع الخارجي هو الأكثر شيوعا في الرواية العربية الحديثة " [3].

و لغة الوصف عن الزمن كانت مرتبطة مع الاسترجاع و العودة بالماضي البعيد في عدة مناسبات داخل روايتنا .

وقد كان حاضرا في مطلع الرواية حين استذكر متعب الهذال أحداث مولد مقبل :

---

[1]–ابراهيم الحاج علي ، الزمن النوعي و إشكاليات النوع السردي ،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت ، لبنان ، ط 1، 2008 م،ص 23.

[2]– ينظر ، عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمانية و المكانية في موسم الهجرة الي الشمال) ،دار هومة ، الجزائر ، 2010 م، ص 18– 19.

[3]–مها القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ،ص 189.

" في ذلك اليوم البعيد الذي يشبه آلاف الأيام قبله ولد لمتعب الهذال آخر أولاده الذكور، حدث ذلك أواخر الربيع ، عند العصر ، كانت الحرارة قد اشتدت و ثمار النخيل تبرعمت وتكورت" [1]

حيث كان في هذا الاسترجاع الزمني لغة ثرية الأوصاف : بعيد، الربيع ، العصر، حرارة شديدة ، برعم ثمار النخيل و تكورها جميعها سمات تميز يوم ولادة مقبل ابن متعب الهذال .

و أيضا حين عاد متعب الهزال بذاكرته لسنين صغره و يوم ولادة ابنه ثويني الذي توفي :

" جلس وحيدا في ضوء القمر ، مرت أمام عينيه حياته كلها مثل شريط طويل ، كان يرى أيامه و لياليه... تذكر وضحة حين جاءته بأول ولد فابتسم... و في الليل المتأخر بكت فرحا ، في هذه الليلة ... ثويني ولده الأول الذي مات من وقت طويل ... يتذكر أن ابن مبارك و الحويزي و شعلان أطلقوا رصاصا غزيرا ... لكن هذه المرة لم يكونوا مثل المرات السابقة " [2]

ففي كل مرة يعود مذهب الهذال إلى ماضيه و يقارنه بحاضره متفائلا خيرا ، و في هذا المقطع كانت لغة وصف الزمان ظاهرة من ليل متأخر ، ليالي و أيام متعب الماضية ، استرجاع ذكريات صغره و شريط حياته بزمانها الفريد و الذي وصفه بالطويل والحافل لما فيه من أحداث متعاقبة ، حتى ليلة ولادة ابنه ثويني وما تعلق بتلك الليلة من احتفال لكن ولادة مقبل كانت مميزة غير ما سبق في الزمان .

- **الاسترجاع الداخلي** : يختص هذا النوع : " باستعادة أحداث ماضية، و لكنها لاحقة لزمن بدء الحاضر السردي و تقع في محيطه و نتيجة لتزامن

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 20.

[2]. المرجع نفسه ، ص21-22.

الأحداث يلجأ الراوي الي التغطية المتناوبة حيث يترك شخصيته و يصاحب أخرى ليغطي حركتها "[1] .

"إنه يقول الأشياء في اللحظة الأخيرة بطريقة رخوة غير مفهومة ... لم يستطيعا أن يميزا شيئا خلال اللحظات الأولى... أما حين ألفت عيونهم الظلمة الخفيفة بالمقارنة مع الوهج خارجها... الله كتب لي عمرا جديدا ..اليوم ... كادت تلك الآلة الجهنمية الصفراء تسحق مزبان ... كان يروق لكل منهم أن يسمع من جديد أن يستعيد التجربة المريرة و يفهم لماذا وكيف... بدا حزينا و سعيدا في وقت واحد " [2]

و كان هذا المقطع استرجاع داخلي لحادث سقوط الآلة على مزبان و كيف نجاه الله وكتب له عمرا جديدا ، و قد تخللته لغة وصف لزمان وقوع الحادثة و استرجاعها حيث أوحى الراوي أن مزبان فقد بصره للحظات عند الحدث و توهجت عيناه في اللحظة التي أفاق فيها لسلامته ووصف زمن الحادثة بالمرير على النفس .

- **الاسترجاع المزجي:** هو يجمع بين الاسترجاع الداخلي والخارجي.

" كان الرجال يستعيدون الوجوه و الوقائع بانفعال ظاهر، مجموعة من المصائب تنتظر الجميع، بداية لفترة من الشدة ... في هذا الوقت بالذات " [3] فهنا استرجاع خارجي لحادثة هروب العمال الثلاثة ، و استرجاع داخلي للمصائب التي يعيشونها جراء هذا الهروب ووصف الراوي الزمن بأنه بداية الشدائد و المصائب .

2/ الاستباق :

[1]– مها القصراوي ، مرجع سابق ، ص 199.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 197.

[3]. المرجع نفسه ، ص 225.

إن الاستباق هو تقنية زمنية كما هو معروف، فهو يعني الإشارة إلى حوادث ستقع في مستقبل السارد و قد يكون على شكل تخيلات ،ظنون و تخمينات ، إلا أن الاستباق في رواية البيت المائل لم يكن متواجد بكثرة لأن أغلب أحداث الرواية كانت تتحدث عن الماضي و النص الروائي معظمه عبارة عن رجوع إلى الوراء .

و هو الاستباق الذي يعلن صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق ، فهو يخبر صراحة في أحداث أو إشارات أو إيحاءات أولية عما يأتي سرده فيما بعد بصورة تفصيلية . أو بعبارة أخرى فالاستباق هو "عندما يعلن السرد مسبقا عما سيحدث قبل حدوثه"...

و هو على ثلاثة أشكال هي[1] :

أ- **استبـاق ممكن التحقيق** : و فيه يكون الخيال واقعيا ، كما تكون أهداف الشخصية الروائية منسجمة مع الإمكانيات المتاحة لقدرات الإنسان .

ب- **استباق غير ممكن التحقيق** : و فيه تسعى الشخصية الي تحقيق ما يفوق قدراتها و قدرات المحيطين بها ، و يرد مثل هذا الاستباق في الرواية لتشويق القارئ و كسر توقعاته بعد إيهامه بأن الشخصية تكاد تصل الي مبتغاها .

ت- **استباق خارق للمألوف** : يتمثل هذا الاستباق في قصص الخيال العلمي ، و في روايات ذات الوجه الفانتازي.

و قد كانت هالة " الاستباق " متعلقة بالشخصية الرئيسية " متعب الهذال " حيث أنه كان إحساسه لا يخيب و جاء في محله في العديد من المواقع .

[1]- أحمد حمد النعيمي ، ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، رسالة ماجستير ، إشراف : ابراهيم حسين الفيومي ، كلية الأداب ، قسم اللغة العربية و ادابها ، جامعة اليرموك ،2002م، ص 40.

" لم يرجع مبكرا رجع متأخرا متأخرا جدا ، يتذكر اليوم الأول ...عاد فواز متأخرا وهذا السبب نفسه هو الذي منعه من السفر بعد ذلك، بعد أن غابت الشمس و بدأت الظلمة الخفيفة تغطي كل شيء ...وفي وقت متأخر ندم ... بقي ساعة أو أكثر ينتقل بين الدواب " [1] فقد حرق الراوي الأحداث و أفصح أن فواز لن يسافر فتعد قفزة في الزمن ورسم الراوي بلغة فريدة عن الزمن الذي غاب فيه فواز حيث كان مساءا قبل الغروب لكنه أعطاه وصفا دقيقا و السبب لندم فواز .

"لم تمض عشرة أيام و عاد الرجل الذي يتظاهر أنه لا يعرف العربية ، قضى ليلة واحدة مع دليله و في فجر اليوم التالي واصل سفره، أما الاثنان الآخران فلم يعرف عنهما شيء لفترة طويلة ... رحل الأمريكان و متعب الهذال لم يقتنع بهذا الرحيل وإنما اعتبره دليلا أكبر على الشؤم " [2] كان هذا استباقا ففعلا عاد الأجانب و قلبوا وادي العيون خرابا ، و قد وصف منيف فترة وجود الأجانب بالنذير الشؤم حتى وإن غابوا .

جميع ما سبق من مفارقات زمنية تشكلت مع السرد و التصق بها الوصف كلغة لينقل سمات و خصائص الوقائع و حين تبادرها ، فالاسترجاع و الاستباق من عناصر تشكل الزمان في السرد كلن هذا لم يمنع وصف لغة الزمان من التجسد معه لتكوين صورة زمنية متناسقة الأطراف وجاذبة للنظر تخرج من سياقها الممل في السرد دون الوصف، واجتماع كل من لغة السرد و الوصف عند عنصر الزمن زاده جمالا وتميزا.

و في روايتنا المختارة عبد الرحمان منيف أبدع في وصف بعض من الأزمان بعيدا عن تشكلات السرد و من أبرزها نذكر :

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 31

[2]. المرجع نفسه ، ص 51.

" في سنوات الخير يظهر الخير ، أول ما يظهر في وادي العيون إذ إضافة إلى غزارة المياه التي تملأ الأحواض الثلاثة المحيطة بالنبع ... و تلك السنين تزرع الخضرة وتظهر النباتات المختلفة... و في مثل هذه السنين يتبدى الكرم ... لا يفكرون في الغد، و لا يتذكرون الأيام الصعبة التي مرت عليهم في السنين السابقة. أما في سنوات الجفاف و هي أكثر السنوات يبدون أكثر حزنا ...قد استعدوا منذ وقت طويل وانتظروا وقتا أطول" [1]

وصف منيف في هذا المقطع من الرواية الفرق بين سنوات الخير و سنوات الجفاف وكيف لكل منهما مميزاته على البلاد و العباد فتتغير سلوكيات الناس بحسب السنة إن كانت خيرا ملأها الرخاء و الفرح و حتى الإسراف و إن كانت سنين جفاف عطشت الأرض و أهلها و اختلفت عاداتهم ، و استعمل في هذا المقطع لغة الوصف أكثر من السرد لأنه كان يوثق سمات السنوات التي تمر على أهل وادي العيون.

و في موقعة أخرى من الرواية حملت أوصافا للزمان ، سنة ولادة مقبل التي اختلفت فيها وسمة و سارة فقال منيف عنها :

" خالته وسمة تؤكد أنه ولد في سنة الجراد ، سنة سوداء قاسية و لما ولد قال متعب الهذال : انتهت أيام الجوع و أقبلت أيام الخير ... أخاها سعد جاء تلك السنة بعد غياب طويل ، لبست ثوبا من الأثواب التي حملها سعد ووضعت مقبل على كتفها فبال على الثوب الجديد ورغم ذلك استبشرت و قالت أن الأيام الصعبة سوف تنتهي قريبا ... سارة تقول أنه ولد في سنة فاضت فيها الغدران .

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 13.

أما سنة الجراد فكانت قبل ثلاث سنوات ، البدوان تلك السنة لم يصلوا إلا في وقت متأخر لأن الخير كان كثيرا و المياه ملأت الغدران ، الفقع والعكوب و الخبيز تلك السنة كانت بكثرة " [1]

كانت سنة ولادة مقبل آخر العنقود لمتعب الهذال سنة اختلاف بين الخالتين كل منهما تذكرها و تربطها بمواصفات مميزة لتلك الفترة و هو ما جعل من لغة وصف سنة ميلاد مقبل لغة جميلة زاهية تحمل على مواصلة القراءة . و أبدى منيف إبداعا منقطع النظير حين عودة متعب الهذال من إمارة الأمير خالد مسلوب الإرادة وغير راض عن اجتماعهم فقال :

" أية أحزان استبدت بمتعب الهذال في الصحراء الملعونة خلال يومين وليلتين حين كان عائدا إلى وادي العيون ؟ أية لحظات أسى سيطرت عليه و ربما دفعته إلى الغناء أو البكاء؟ لا أحد يدري ... حتى بعدما عاد استبدت به حالة من الصمت أقرب إلى الذهول ... لا يسمع و لا يجيب ...نهاية ملعونة تنتظرهم كل لحظة ... الحزن يبدو متدفقا كثيفا في بعض اللحظات يعجز عنه في لحظات أخرى بل و يتمناه لأن يأسا مروعا متشبثا يربض الحواس فيفشلها و يجعل الحركة ميتة و الزمن عذابا " [2]

وظف منيف في وصفه لليومين و الليلتين اللتان أمضاهما متعب الهذال في طريق العودة للوادي أسلوب استفهام غير حقيقي ليؤكد مدى المرارة و القنطة التي أحس بها متعب الهذال و جعل من أسلوبه أكثر تعبيرا و توضيحا للحالة التي وصلت إليها الشخصية وما حملته تلك الفترة الزمنية الحساسة لها من حزن وأسى ، فرسم منيف لغة وصف رائعة للزمن و ما والاه بعد العودة فانتقل الخوف و الحزن لأهل الوادي وأبدع في وصف اللحظات و الزمن عذابا .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 27.

[2]. المرجع نفسه ، ص 98-99.

ب. لغة المكان :

المكان هو المحيط الذي تجري عليه الأحداث و تدور فيه ، " و هو يأخذ على عاتقه السياحة بالقارئ في عالم متخيل للدخول بالقارئ في فضاء السرد " [1]

و أول مكان ساح بنا الراوي فيه هو وادي العيون ، وادي لا مثيل له فقد استهل الرواية بوصف جاذبية و كمال هذا الوادي ، ثم سكانه و نمط لحياة فيه.

" البقعة الخضراء وكأنها انفجرت من باطن الأرض أو سقطت من السماء ...كيف انفجرت المياه و الخضرة في مكان مثل هذا ؟ ... وادي العيون قد يبدو مألوفا لساكنيه لأنهم تعودوا على أن يروا أشجار النخيل تملأ الوادي و تعودوا أن يروا الينابيع تنفجر في أماكن عديدة ... أن الذي خلق الدنيا والبشر خلق في نفس الوقت وادي العيون في هذا المكان بالذات ليكون إنقاذا من الموت في هذه الصحراء الملعونة ...وادي العيون بالنسبة للقوافل شيء خارق ... أين أنت يا وادي العيون يا جنة الدنيا ... بعد الوادي وحوله بعض الهضاب وهي هضاب رملية متحركة ... بشر وادي العيون مثل مياهه إذا زادوا عن حد معين فلابد أن يفيضوا ... حديث وادي العيون والسفر له بداية وليس له نهاية ... تصرفات الناس في وادي العيون خليط عجيب بين الوداعة والجنون ... الناس في وادي العيون فقراء ... اكتسب الناس في وادي العيون صفات في الجسد شديدة الظهور ... الناس متشابهون في وادي العيون بالملامح أو طبيعة الحياة " [2]

كانت هي افتتاحية الراوي بلغة المكان التي سلبت النظر و الانتباه لوادي العيون الذي وصفه بدقة متناهية و وصف ما تعلق به من شخصيات و سلوكيات .

---

[1]. عبد المنعم زكريا القاضي ، البنية السردية في الرواية ، عين للدراسات و البحوث الانسانية والاجتماعية، مصر ، 2008 ، ص 104.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص9-18.

و قد ذكرت العديد من المناطق في الرواية و لكل منها استعمل الراوي وصفا وأبرزها " **وادي العيون ، عجرة ، الرحبة ، روضة المشتى ، الحدرة ، حران** " [1] و هي قرى و بلدات تأتي منها القوافل و الأخبار .

و قد انتقل التركيز على وادي العيون بعد ترحيل سكانه إلى " حران " ، البقعة في الصحراء التي وجد فيها الأجانب غايتهم فاختاروها مدينة لهم .

"**هي حران منذ أن قامت في هذه البقعة من الأرض ، و هكذا كانت حين وصلها ابن راشد و رجاله ، أما رجال الشركة الذين زاروا أماكن عديدة قبل حران فقد استقر رأيهم على اختيارها لتكون مدينة و ميناء و مقرا للشركة و لتكون مدينة اللعنة والنهاية أيضا** " [2] اختار الراوي لغة وصف ممتزجة لحران منطقة وحدة إلا أنها تختلف في أعين زائريها فهو المكان نفسه منهم من اعتبرها بيتا و آخر قبيلة أما الأجانب فرأوها مدينة متعددة الخصائص ووصفها الراوي أنها مدينة اللعنة و النهاية مختارا مفردات تتخلل نهاية حران و تصفها بدقة .

" **في جهة الشرق حران الأمريكان : مضيئة ، لامعة ، ضاجة و بدأت تكتسي بالخضرة، عن بعد الأمريكيون يصخبون في البرك يضجون بالغناء أو المرح ، سهام في السماء ، أما جهة الغرب بيوت أهل حران انبعث منها الدخان عند الغروب وامتلأت بأصوات البشر و الحيوانات و البركسات التي يعيشون فيها و إلى الحياة الجافة القاسية المعزولة تدفقت الذكريات و يزحم قلوبهم الحنين** " [3] استعمل الراوي لغة وصف المكان ليقارن بين حران العرب و حران الأمريكان ، إحداهما منيرة حافلة بهيجة و أصلها الأم بث فيه الفساد ودمرته الآلات .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 186.

[2]. المرجع نفسه ، ص 195.

[3]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 286.

و قد استعمل منيف لغة وصف الزمان و المكان معا في وصفه تعاقب الفصول في وادي العيون وتأثيرها حيث قال :

" الأيام تمر ثقيلة متباطئة ، حرارة الجو تزداد ...في أول الشتاء طلبا للمرعى ...ابتداء من نهاية الربيع جحيما لا يطاق ... عرفوا لكل مكان أياما في السنة يقيمون فيه خلالها و يعرفون متى يتركون هذه الأماكن و إلى أين يجب أن يتوجهوا ، تعودوا الرحلات وعرفوا مواعيدها ، يعرفون أن نهاية الربيع و الصيف كله ثم جزءا من الخريف الأوقات التي يضيق الوادي و يتزايد البشر فيه...تنتظر أن يكبر القمر ويساعدها على سير الليل بدل سير النهار الشاق " [1] جمع الراوي بين وصف للزمان ووصف للمكان و قارب بين كل منهما ، مستعملا ألفاظا دلالية فحرارة الجو تدل على فصل الصيف و الرحلات يعني بها اكتشاف أماكن غير الوادي و المواعيد قصد بها الفصول و تعاقبها و غيرها من الدلالات ككبر القمر ليساعدهم ضوءه على السير في العراء بلا أشعة شمس وهاجة تحرق جلودهم .

" سافر عائدا من حيث أتى ... يتوغل البادية ينتقل من مكان لآخر يسمع الشعر، يبحث عن طائر أبيض كبير خطف له امرأته الجميلة في الليلة السابقة لزواجه منها ، خطفها في الليلة السابقة لزواجه منها ، خطفها في الليل و كان القمر بدرا ...حملها في ليلة ظلماء و دخل الصحراء ... في رحلاته الطويلة المجهولة داخل البادية " [2] يصف منيف في هذا المقطع الزمان و المكان ويستعمل لكل منهما لغته الخاصة فقد تعددت الأماكن التي زارها الأمير غافل السويد من البادية والصحراء وحران ورحلات مجهولة و وصف ليلة اختطاف محبوبته أنها كانت ظلماء و كان القمر بدرا ، فمزج بين لغة الزمان و المكان بأسلوب راقي جاذب القراء خارج عن السرد الكثير .

---

[1]. المرجع نفسه ، ص 87.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 262-263.

خلاصة الفصل :

الرواية من أسمى الأجناس الأدبية ، لها من المميزات ما لا يوجد بغيرها ، تتمازج في سطورها بين السرد و الحوار لتبرز عناصرها و تبين مكنوناتهم وانفعالاتهم وتسير خطى البداية لحبكة جيدة تنتهي وفق ما يرضاه الكاتب ، فيثير شغف القراء و انتباههم إلى حكمة يرضاها جوهر الرواية .

والتشكلات اللغوية في رواية مدن الملح " التيه" كانت مستوياتها متعددة ، من لغة سردية مباشرة و غير مباشرة أبدع فيها عبد الرحمان منيف واستعمل من جماليات اللغة العربية الفصحى و أناقتها أرقى الألفاظ ليبرز المعاني بوضوح تام و يروي الأحداث والوقائع بأسلوب شيق ممتع .

وكانت اللغة العامية ما استعمله الراوي لغة للحوار في أغلب مواقعه لتعبر الشخصيات عن ما يدور في ذهنها وما وصلت إليه حالتهم من أسى بعد دخول الأجانب فاختياره للغة العامية لم يكن مصادفة بل مقصودا ليبرز سلاسة الحوار ويجعله مميزا يخرج عن إطار اللغة العربية الفصيحة بمبادئها و قوانينها .

في حين كانت لغة الوصف حاضرة إما مصاحبة للغة السرد تسير معها جنبا لجنب تكسر روتين الرواية و تجمل معانيها ، و إما في مقاطع خاصة بها يبرز جماليات الصفات في الشخصيات و الزمان و المكان .

و تمازج جميع هذه اللغات زخرف الرواية وحاك لها إبداعا متناهي النظير سلب القلب والعقل و زادها تشويقا .

الفصل الثاني : التعدد اللغوي

في رواية مدن الملح

لعبد الرحمان منيف

أولا: اللغة الدينية

ثانيا : اللغة العربية الفصحى

ثالثا : اللغة العامية

و من سمات النص الروائي الجيد اللغة فهي الأداة التي تُبنى عناصر الرواية بواسطتها، نتعرف من خلالها على الشخصيات ومستويات تفكيرها وما يشغلها من هموم الحياة، وعلى المحيط الذي تدور فيه الأحداث. و " اللغة في العمل الأدبي تؤدي وظيفة جمالية، لا وظيفة إخبارية تقريرية، كما هي في حقول أخرى" [1] ، فلا تقوم العناصر الروائية دون لغة .

و القارئ لرواية مدن الملح في أولى خماسيتها " التيه " ينتبه لاستعمال الكاتب نوعين من اللغة ، لغة يسرد بها و يروي الأحداث و يشير بها للمكان و الزمان وتعاقب الأحداث فكانت لغة الراوي اللغة العربية الفصيحة ، في حين اختار الكاتب لغة عامية تضمنها حوار الشخصيات فيما بينها في محادثاتهم ، وهذا الأسلوب في دمج اللغة العربية و اللغة العامية يطلق عليه اسم " التعدد اللغوي " ، و التعدد اللغوي حسب –باختين– لا يعني حضور مجموعة من اللغات (العربية ، الفرنسية ، الانجليزية ...) داخل عمل روائي واحد حينا إلى حين فقط ، بل هو تعدد مبني على أساس وجود منظور سوسيولساني ملموس يتفرد داخل اللغة ، و يقتضي الكشف عن التعدد اللغوي وعيا عميقا باللغات المتفاعلة داخل اللغة الواحدة التي تتحاور و تتصارع عبر مواقف وقيم .

و يعني –باختين– بقوله سوسيولساني : أسلوبية الرواية السوسيولوجية أي تنوع اللسانيات الاجتماعية بين الشخصيات و تعدد الأصوات في الحوار ولو كانت اللغة واحدة لكن أسلوبها يكون مختلفا من رؤيا شخصية لأخرى وتباين الأصول الاجتماعية و الطبقية .

---

[1]. أوستن وارن ورينيه ويليك، نظرية الأدب ، ترجمة :محي الدين صبحي ، مراجعة : حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية للنشر و التوزيع ، 1972 ، ص 20–23.

و قد استهل عبد الرحمان منيف في روايته نظرة عن وادي العيون البقعة الخضراء وسط الصحراء الجرداء ، واصفا مناخها و تضاريسها وكذا صفات سكانها وتعاملاتهم وجميعها وصفها بدقة وانسيابية مستعينا باللغة العربية الفصحى وما يميزها من جماليات و جاذبية ، ورغم أنه مر على عبارات ذكرها أصحاب القوافل إلى وادي العيون عن طبيعة البشر بالمنطقة و انطباعاتهم في التجارة الا أنه فضل أن تكون حتى هي باللغة العربية الفصيحة ما دام يذكرها عبر سرده للأحداث كي تتبلور في النفوس و تجد لها صدى ، " كانوا يقولون : أهل الوادي أطفال كبار ، الكلمة تحييهم و تقتلهم ، و على الإنسان أن يعرف كيف يتكلم معهم و كيف يعاملهم ... كان ينبري من يقول : لا تتعجلوا ! لقد رأينا آلاف البشر ، و علمتنا الحياة الكثير ، فانتظروا " [1] فرغم كونها أقوالا و حوارات إلا أن الكاتب اختارها أن تكون باللغة العربية الفصحى لأنها كانت على لسان الراوي دامجا إياها في حديثه مؤكدا على صحة نظرته عن طبيعة أهل وادي العيون ، أما الحوارات بين الشخصيات فغلبت عليها اللغة العامية .

و تخلل النص الروائي لغة أخرى أخذت حقها و هي اللغة الدينية حيث لم تمر صفحة واحدة من الرواية و كان اسم الله أو الصلاة على رسول الله و ما يختص الدين الإسلامي حاضرا من كلمات أكثرها ترددا " وكل الله " ، و كذا لا ننسى التعبيرات التاريخية حيث الرواية بأصلها تحكي تاريخ النفط في صحراء السعودية ، دارت بعض القصائد الشعرية أما اللغة الأجنبية فلم تظهر إلا نادرا .

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 15.

أولا :اللغة الدينية (العقيدة الإسلامية):

تضمنت رواية مدن الملح –التيه– تعابير من القرآن الكريم و الدين الإسلامي وجملا تؤكد أن الشخصيات أغلبها مسلمة لله مؤمنة بقضائه وقدره ، ولم تتكرر هذه الخطابات والرمزيات مرة على مرة بل كانت لصيقة بكلتا اللغتين العربية الفصحى واللغة العامية، فالكاتب اختار الراوي يسرد باللغة العربية الفصيحة و الشخصيات تتحاور باللغة العامية للبلاد التي أرادها إطارا مكانيا للرواية و في كلتا اللغتين كان اسم الله والتوحيد ورافقهما من كلمات روحية دينية حاضرة ما جعل من روحها لغة أخذت حقها في صميم الإبداع الروائي .

" **متذرعة بحجة أن الذي خلق الدنيا و البشر خلق في نفس الوقت وادي العيون من هذا المكان بالذات ليكون انقاذا من الموت ... يا وادي العيون يا جنة الدنيا ...إن هذا الوادي في هذا المكان من الأرض لا غنى عنه، و لو لم يكن موجودا لما كان هناك بشر أو حياة**"[1] و من الذي خلق الدنيا و البشر ووادي العيون ؟ إنه الله تبارك و تعالى ذُكر في كلام الراوي ضمنيا فترك صفة من صفاته تعالى و هي " الخالق" ، لفظ الجنة منال المسلمين في الآخرة و مبتغاهم ، في حين المقطع الأخير كان موازيا لقوله تعالى " وجعلنا من الماء كل شيء حي " فلولا رحمة الله بخلقه وادي العيون لهلك القوم .

" **الله يبشرك بالخير يا وليدي... يا جماعة الخير ... الله يرحم والدينا ووالد والدينا...وكلي الله ...وكلوا الله يا جماعة الخير** "[2] كلمات متعب الهزال في يوم استقبال ولده " مقبل " إلى الحياة أول مرة ، شاكرا لله على فضله ونعمة الذرية . و "**توكلي على الله** " قالها لما أذن لابنه فواز بالسفر .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 09-10-11

[2]. المرجع نفسه ، ص 21-22-24-25

- **الشهادتان :**

"... إنهم نصارى ... قل لا اله إلا الله محمد رسول الله... الله العليم "[1]

في حديث دار بين متعب الهذال و ابنه عن هوية الأجانب فأجابه أنهم على ديانة نصرانية وأخبر أباه أن ابن راشد لقنهم الشهادتين " لا اله إلا الله محمد رسول الله " وهي أولى أركان الدين الإسلامي ، و لما أتعبه السفر ارتأى المبات في بيت ابن راشد مضطرا وناجى قائلا " الله عليم " على أن السفر شاقه فلابد له من راحة .

" و الله لا أخليها تتشاهد ، تقول : أشهد أن لا اله إلا الله " [2] قول دحام عن أجنبية نصرانية يود تلقينها الشهادة .

" دون وعي لا اله الا الله ، لا اله الا الله ... صوت كثيف متداخل لا اله الا الله .. لا اله الا الله " [3] و هنا الناس يستغيثون بالله و يذكرونه بعدما خافوا السيل يجرفهم ورأوا متعب الهذال في الضفة الأخرى .

- **آيات من القرآن الكريم :**

" جيتوا و الله جابكم ... الله يلعن الشيطان ، و البني آدم دائما عجولا " [4]

و قد جاء في القرآن الكريم " خلق الإنسان عجولا " و في آية أخرى " و كان الإنسان عجولا" و في أية أخرى " خُلق الإنسان من عجل " دلالة على الطبيعة الإنسانية فدوما يستبق الأحداث و يستعجل النتائج .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 33-34.

[2]. المرجع نفسه ، ص 222

[3]. المرجع نفسه ، ص 155/152

[4]. المرجع نفسه ، ص 178

"**جنات عدن تجري من تحتها الأنهار** " [1] ، " إن الله علم الإنسان ما لم يعلم " و هي آيات من القرآن الكريم أو مقاطع منها استشهد بها القوم .

" **و إن الله أمهله و لم يهمله فلما مات مات على دين الكفر** " فالله يمهل و لا يهمل كما قال تعالى في كتابه المبين " و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار " فالدنيا تدور وكل ساق سيسقى بما سقى .

- **الإيمان بالقضاء و القدر :**

" **له .. له .. له .. لا اله الا الله .. لا اله الا الله .. وحده الباقي .. ووحده الدائم** " [2] حيث شهّد الدباسي بأسف و توجع اثر خبر وفاة ابن الراشد .

" **ردد الجميع : أشهد أن لا اله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ... الحساب عند الله ... لم يمد يده للخمرة و لا يشربها ... و شيعت الجنازة ... الله يرحمه و لا اله إلا الله... عند القبر صلى ابن نافع على الميت ... و لقنه : يا يعقوب ابن فاطمة إذا جاءك الملكان الصالحان و سألاك من ربك قل الله ربي و الإسلام ديني و الكعبة قبلتي والمسلمون إخوتي و أشهد أن لا اله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله... سوي القبر مع التراب عدا حجر صغير وضع كشاهدة** " [3] هذا المقطع جمع مراحل تشييع الجنازة و الدفن للمسلمين ، من الشهادتين إلى صلاة الجنازة بعد التأكد من أن الميت ليس بكافر و لا بشارب للخمر و الذي أسمي بول ابليس أو الخمرة في النص الأدبي إلى بعدها من تلقين للميت عند رأس قبره و وضع الشاهدة .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 211-213

[2]. المرجع نفسه ، ص 397.

[3]. المرجع نفسه ، ص 488-489

" **و الله إذا تركناهم يقلبون الوادي فوق روسنا ، كفار لا يرحمون ... الله كريم ...الفايدة باللي يقسمه الله** "[1] ونلحظ ذكر الله على لسان الشخصيات ما ينفكون يذكرون الله في مواقفهم كانت حلوة و بشارة أم كانت مرة فهنا ذكروا الله و هم في أزمة مع الغرباء الذين يريدون حفر وادي العيون و سموهم الكفار فلا دين لهم ورغم ذلك فقد رضوا بقسمة الله.

- **ذكر الله :**

" **لأن الجن سكنها من يوم وصلها الكفار...الله يلعنهم و يلعن ساعتهم والحمد لله خلصنا منهم ...ذكر الشيطان و لا ذكرهم ... الجحيم ... أي و الله ...هؤلاء شياطين ...الله يسمع منك...وكلوا الله ...يترحمون على الأموات ... الله يرحم كل من زرع نخلة... سبحان الرب المعبود**" [2] توالت الصفحات و في كل منها ذكر الله منها :

-**تسبيح** و الذي جاء أيضا في قول الدباسي " **سبحان الله يا جماعة الخير** " و قول صاحب السمو " **سبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم** " [3] .و جاءت **الحوقلة** في قول الدباسي : "**لا حول و لا قوة إلا بالله** " [4] بعد رؤيته لمرض الأمير . و**الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم** " **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** " [5] صرخة ابن نفاع يستعيذ بالله من شر الأميركان .

فقد تضمنت الرواية ذكر الله من تسبيح و حوقلة و استعاذة من الشيطان الرجيم و جميعها مما يميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان .

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 45-46
2. المرجع نفسه ، ص45-56
3. المرجع نفسه ، ص 420.
4. المرجع نفسه ، ص 602
5. المرجع نفسه ، ص 320

الأخلاق من الدين :

" أننا أحرص الناس على الأخلاق و إذا اردت الدين فالدين عندنا ماهو عن غيرنا ...الله يخزيهم ...أرض الله واسعة ... الأرض المباركة ...منَّ الله علينا بالنعمة ...إن شاء الله...و الله ... الأخلاق و الدين ... أي و الله ... وكل الله يا ابن الحلال ...و عليه توكلت و إليه أنيب"[1] فربط الراوي الدين و حسن الخلق .

- **القسم بالله :**

و ما انفكت الشخصيات تذكر الله و توكله أمرها. و نلحظ أيضا القسم ، **و الله ،أي والله** يقسمون بالله على أقوالهم و يؤكدونها بلفظ الجلالة فلا يكون نقاش بعد كلامهم و وقد جعلوا الله على قولهم شهيد . والأرض المباركة دينيا ما يشد إليها الرحال و يضاعف أجر الصلاة فيها و المباركة دنيويا ما نزلت فيها من الثمار و الأشجار و الأنهار وهو ما قصده الأمير غالبا .

- **الصلاة :**

"وكل الله ...الله يستر ... و الله ... أشبه ما تكون بالصلاة ...راكعة نصف ركوع ... للفجر...الله يساعدها ... مستقرة في صلاتها ... تواصل صلاتها ... وجهها فارق الحياة ...الله سبحانه و تعالى أراحها ... حفر القبر و دفنت " [2] ذكرت ثاني أركان الإسلام و عمادها "الصلاة " و ما يختص بها من ركوع و فجر واستقرار ، و تلاها " فارق الحياة" بمعنى الموت و الموت لا مفر منه فكلنا لها وقد رُبط الموت بالراحة فالمؤمن حين يموت يرتاح من ضجيج الدنيا و شقائها مستبشرا بالجنة و نعيمها .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 60-96.

[2]. المرجع نفسه ، 113-122

و بعدها شرح الراوي طريقة الدفن و التي كانت القبور مؤكدا على صلة الإسلام فغيرنا من شرائعهم عند الموت الحرق و آخرون يصلبون أما المسلمون فيدفنون مكرمين جئنا من تراب و يستر جثتنا التراب.

و قد ذُكر في صفحات الرواية " **الحاج راح للجامع يصلي العشاء ... الفجر لا يتأخر ولا ينتظر** " [1] وزاد الراوي " **يصلوا الجمعة في المسجد ... المصلين صلى ... المتدينين ...صلاة الظهر** " [2] و الجامع هو بيت الله المسجد الذي يجمع الناس للعبادة والصلاة و قد ذكرت صلاة الفجر و صلاة الظهر و صلاة الجمعة و صلاة العشاء، أما العصر فجاء في قول البدوي " **باكر بعد صلاة العصر** " [3] و قول الدباسي " **والموعد العصر عند الأمير** " [4] ، " **تعلمت عند الشيخ ... الشيخ مناور إمام مسجد العيون**" المسجد والإمام ماهما إلا من العناصر الدالة على عماد الدين .

- **الدعاء :**

" **لم يتوقف الدعاء ... ما عاد الإنسان يخاف من كتاب و حساب أو من رب العباد ... اللهم يا رب ، يا مالك الملك ، يا قوي يا رحيم ... أمتني على دين آبائي وأجدادي ، على دين نبينا محمد و لا تجعلني عاصيا كما عصى قومي ، اسمعني يا ربي و استجب لدعائي ... و في غمرة الدعاء** " [5] فالكتاب هو القرآن الكريم و الحساب و العقاب يوم الدين و الله هو رب العباد . و الدعاء هو صلة روحية بين العبد و ربه يناجيه لشيء بقلبه يتمناه ويرضاه راجيا من الله تعالى للاستجابة .

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 320-321
2. المرجع نفسه ، ص 219-222
3. المرجع نفسه ، ص 449.
4. المرجع نفسه ، ص 359.
5. المرجع نفسه ، ص372/ 382- 383

- **استشعار مراقبة الله :**

" **حالة من العصبية و القهر و اللوعة و تملكهم شعور ساحق موجع أنهم جاءوا هذا الطريق بالخطأ و يجب أن لا يبقوا طويلا** " [1] فالحالة التي أصابت العمال كانت نتيجة لقاءهم بالسفينة التي حملت نساء أجنبيات شبه عاريات ما جعلهم يقعون في معصية النظر إلى الحرام ولم يستطيعوا منه أنفسهم وغض أبصارهم .

- **الأنبياء و الخلفاء :**

سمى العمال السفينة العملاقة بلاط النبي سليمان ، أما الدباسي فذكر " **أيام سيدنا يوسف عليه السلام** " [2] وجاء " **سمعتم اللي قاله عن النبي صلى الله عليه و سلم و اللي قاله عن ابن الخطاب**" [3]، "**سيدنا الخضر، و يا من كنت في بطن الحوت**" [4] والمقصود النبي يونس . والأمير قال " **عصاك يا جوهر مثل عصا موسى** " [5] ، وابن الهذال الذي يروي قصصا من أيام نوح ، و زوجته وصفت صبره " **مثل أيوب** ".

- **الزكاة و الحج :**

"**مثل زكاة الفلوس اللي دفعها العمال للأمريكان هذه زكاة الديرة كلها** " [6] ركن آخر من من أركان الإسلام و هو زكاة الأموال . " **حجاج بيت الله الحرام و صحتهم كانت أمانة في رقبتي ... كنت طبيب بعثة الحج**" وهنا أشار الكاتب لآخر أركان الإسلام و هو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 211-213
2. المرجع نفسه ، ص 343
3. المرجع نفسه ، ص 433.
4. المرجع نفسه ، ص 241
5. المرجع نفسه ، ص 541
6. المرجع نفسه ، ص 503.

ثانيا : اللغة العربية الفصيحة :

اللغة العربية من اللغات السامية الراقية و يكفيها فخرا ما أُنزل في كتابه المبين بسورة الزمر الآية 20: قوله تعالى ﴿ **قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون** ﴾ حيث شرفها الله عز وجل أن جعلها لغة القرآن الكريم و لسان شرائعه و أحكامه و تبيان حلاله وحرامه ، و اللغة العربية ذات أصول راسخة بفضل خصائصها و سماتها وامتلاكها مقومات تضمن حياتها معهما تباعد الزمن و تداخلت اللغات فالفصاحة والبيان يجعلان منها خطابا بلاغيا بمستوى راقي ، وكذا زخرها بالمصطلحات والمفردات التي تتغير معانيها في اختلاف اللفظ ، و نذكر أهم تشكيلات اللغة العربية الفصحى كالتالي :

- **الأصوات :**

و أكثر ما يميز اللغة العربية الأصوات باعتبارها أصغر وحدة في اللفظ ، و نلتمس في المستوى الصوتي الجهر و الهمس التوقف و الاستمرار ، وكون دراستنا كانت مبنية على رواية طويلة فقد اعتمدنا غيرها من خصائص لها علاقة بالصوت كالتنغيم والمحسنات البديعية التي تضفي جمالية صوتية للنص .

- **التنغيم :**

و التنغيم في علم الأصوات هو " ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام .

" حين وصل الدكتور صبحي : حانقا مستثارا و كان حائرا أيضا . يحس أن الكثيرين لا يعملون شيئا سوى السرقة ، يسرقون حين يشترون ، و يسرقون حين يبيعون ، فلما رأى الدكتور و حوله هؤلاء الأغنياء السراق " [1]

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 536.

كرر الراوي كلمة " **يسرقون**" مرتين ، وأفاد أن السرقة تكون عند البيع و عند الشراء ما يدل على الفساد في المجتمع وزاد اشتقاق " السرقة " و " السراق " ما يوحي بالخلل في العلاقات الاجتماعية ، والتنغيم نشأ من العلاقة بين الدال و المدلول البيع والشراء .

- **الجناس :**

الجناس هو أن يكون اللفظ واحدا و المعنى مختلفا مما يولد ايقاعا داخليا في النص و له أهمية كبيرة في التأكيد على المعنى و ابراز العواطف .

" الشتاء في وادي ***العيون*** كان شيئا مختلفا ... **يسألون** القوافل ، **يسألون** الرعيان ... حتى إذا جاءت تهللت الوجوه و نظرت ***العيون*** إلى ***العيون*** ...حول وادي ***العيون*** " [1]

في وادي العيون نظرت العيون إلى العيون حول وادي العيون تكررت كلمة "العيون" لكن معناها يختلف فالأول اسم للمنطقة و الثاني العين من الحواس الخمس أما العيون التي نظرت اليها العين فهي سبخات من الماء و عناصر في جوف الأرض غمرها المطر و هو جناس تام ما زاد النص رونقا و عذوبة موسيقية ترتاح النفوس لها .

" **قد يطرقها** من يبحث عن الخبز و **قد يطرقها** بعض معارفه .. فإذا توالى **الطرق** ..فإذا استمر **الطرق** .. كان يستجيب بعض **الأحيان** و كان يرفض أغلب **الأحيان** وطريقة لقطع **الطرق** يقول ساخر " [2] **قد يطرقها** جناس تام فمن يطرقها بحثا عن الخبز غير من يطرقها تطفلا ، و جناس تام بين الطرق الذي يتوالى و الذي يستمر ، بينهما جناس محرف بين الطَرق و الذي يعني دق الباب و بين الطُرُق و هي جمع طريق لتغير الحركات ، وجميعها امتزجت و زادت النص جمالا و رونقا و جاذبية وسمة إبداع و تفرد ودهشة .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 166

[2]. المرجع نفسه ، ص 241

- **الطباق :**

وهو الجمع بين شيئين متضادين في المعنى ، و قد كثر استعماله في الرواية نذكر: الطباق الموجب في قول الكاتب "**لا نعرف غير التجارة نبيع و نشتري نخسر مرة ونربح مرتين** " [1] فالتضاد بين البيع و الشراء ، الخسارة و الربح و كلاهما طباق ايجاب ما يفيد تقوية المعنى و تعزيزه بالتضاد .

" **إنه الآن السيد ، يرفض و يقبل ... فمتعب الهذال يظهر و يغيب** " [2] فالرفض عكس القبول ، و الظهور عكسه الغياب و هنا طباق موجب زاد النص قوة و جمالا .

" **فالنجاح و الفشل ، الغنى و الفقر ... السفر له بداية و ليس له نهاية ، و هذه الحالة يعرفها الكبار و الصغار ... تسليم العاجز اليائس مع الأمل ... أهل الوادي أطفال كبار الكلمة تحييهم و تقتلهم .. من يكون مصيبا و من المخطئ... البيع و الشراء ... حددها المشترون ووافق عليها البائعون ... لا يعرفون حلالا و لا يخافون حرام** " [3] النجاح ضد الفشل و الفقر عكس الغنى و البداية ضد النهاية والكبار عكس الصغار واليأس يعني لا أمل و الحياة في مواجهة الموت و الصواب ضد الخطأ و البيع عكس الشراء فالمشترون ليسوا البائعين و الحلال ليس الحرام جميعها أضداد تناسقت بالتوالي في مقطع واحد ما عزز موقف الراوي و نسج اتساقا لفظيا جماليا . " تأكد جوهر أن **لا أحد يعرف** معالجة القضية كما **يعرف هو** ، يقولون **نوافق** و لا **نوافق** وهم لا يعرفون شيئا " [4] يعرف و لا يعرف يوافق و لا يوافق متضادات نتجت عن النفي ما جعل منها طباقا سالبا أكد النص السردي و عزز جمالية موسيقاه.

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 251.
2. المرجع نفسه ، ص 156
3. المرجع نفسه ، ص 14-15.
4. المرجع نفسه ، ص 591.

- **السجع :**

و السجع محسن لفظي و هو اتفاق فواصل الجمل في الأحرف الأخيرة و يكون في النثر فقط ، و من ما جاء في الرواية قول الراوي :

" إذا كان بدوي واحد أسنانه فرقاء ، و عينه حولاء ، جاب كل البلاء ، فهذه المرة جاء أصحاب العيون الزرق و الأسنان الفرق " فرقاء حولاء بلاء جميعها تنتهي بنفس الحرف، و كذا الزرق والفرق ينتهي كلاهما بخرف القاف ما يزيد المقطع صوتا سجيا.

المقابلة :

و المقابلة الجمع بين جملتين كل منهما عكس الأخرى في المعنى ، ووردت في رواية عبد الرحمان منيف :

" كان صوته **يخفت** بعض اللحظات إلى درجة أن يصير النغم خافت ، لا يكاد يسمع إلا بصعوبة وفجأة **يدوي** الصوت مرة أخرى " [1] فالجملة الأولى تتكلم عن صوت خافت لا يسمع في حين تقابلها الجملة الثانية أن الصوت دوي قوي .

" امتلأت بيوت حران بالصمت ، و في الليل المتأخر بكت النساء " [2] ففي الجملة الأولى خيم الصمت و الهدوء و عدم الكلام و تقابلها العكس في المعنى في الجملة التي تليها حيث الراوي وصف صوت بكاء النساء و نواحهم .

و جميع المحسنات البديعية تزيد النص الروائي نغمة و تحسن اللفظ و تجمله .

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 258.

2. المرجع نفسه ، ص 487

- **التشبيه :**

و هو عقد مقارنة أو مماثلة بين شيئين لاشتراكهما في صفة أو أكثر و للتشبيه أهمية واضحة تبرز جمال الصورة بطريقة فنية في التعبير ، فقال الراوي : " **كان العمال العرب بدوا مثل الدمى في الأيام الأولى خاصة بعد أن قرئت عليهم تلك التعليمات الميتة كانوا يتدفقون كالجراد وينتشرون في جميع أنحاء المعسكر يتراكضون مثل القطط المذعورة من مكان لآخر والعرق يسح كأنه المطر من الصدور والوجوه**" [1] وظف الراوي التشبيه ليبرز صورة العمال العرب الذين شبههم بالدمى دلالية على التبعية و تنفيذ المطلوب بلا جدال و مناقشة بكل طواعية، واعتمد التشبيه البليغ في توظيفه " التعليمات الميتة " فهي الأنسب للدمى كونها بلا روح والميت هو من لا يجادل و لا يناقش ، في حين شبه الأجانب بالجراد في انتشاره و كثرته واختار الراوي فعل يتدفق دلالة على السرعة و الغزارة ،ثم صورهم على شكل قطط تتراكض دليلا على سرعتهم في أداء مهامهم و زادها توكيدا حين ذكر العرق السائح نتيجة الجهد والتسابق لإتمام أشغالهم، وكانت الصورة التشبيهية بين العرب و بين الأمريكان مقارنة بينهما ، فالعرب ارتبطت صورتهم بالتبعية والضعف بينما الأجانب بالسرعة والدقة .

" **تبددت كلمات الغنى و الذهب كما يتبدد الدخان في الهواء وارتفعت راية سوداء مثل سؤال كبير: إذا جاءوا ليبقوا ؟** " [2] شبه الراوي انتشار كلمات الذهب و الغنى بانتشار الدخان في الهواء ، والغنى و الذهب يحتاجه الأمير في حين أن النفط سيكون دخانا يخنق سكان الوادي فكانت صورة تشبيهية تمثيلية احتاجت إلى التشبيه المقلوب وظفها الراوي في الراية كونها رمزا للخطر و التحذير و سوادها جاء ملازما للدخان المتبدد تدل على ما سيؤول اليه الحال في حين قرر الأمريكان المكوث .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 20.

[2]. المرجع نفسه ، ص 101

- **السياق :**

إن اللغة في تعددها واختلافها تدخل في نطاق ما يمكن أن يسمى " بالعلاقات السياقية أي ربط النص الأدبي بالنصوص الأخرى في حركة تضاد أو مقابلة، أو تحويل، وتعمل على إعطاء النص مستويات دلالية معقدة ومكثفة، واستدعاء مجموعة من الخبرات في التفاعل تغني النص وتضاعف من أبعاده الدلالية " [1]

اللغة و السياق يمشيان في طريق واحد متصلين ببعضهما البعض و هو إيصال الصورة للقارئ في أحسنها وأوجها ونأخذ مثالا مشاعر الألم الذي يعيشه العرب رغم كونهم في عرس الدباسي:

" لو أن الرجال كانوا في غير هذا المكان ، و لو كانوا أقل عددا ، أو لم يكن معهم هؤلاء الغرباء ، لعرفوا كيف يعبرون عن هذا الحزن كله ، عن هذه اللوعة لكن شيئا ما كان يشدهم يثقل عليهم و يمنعهم ، فكانت العيون وحدها تجول في المدى الضيق من العيون المحيطة تماما كما يجول أو يدور الأسير في الزنزانة ، أو كما يفعل حيوان مربوط ، كانت عيونهم وحدها تتكلم ، و في لحظات معينة تصرخ صراخا فاجعا مدويا كانت حين تتقلص و تضيق أو حين ترف رفيفا مفاجئا موصولا تستنجد تتلوع، تحس بالألم كاويا وتريد من الآخرين أن يقتربوا أن يمدوا يدا أو حبلا لكي ينقذهم ، وصويلح الذي يغني لنفسه للآخرين ، يزيد العذاب يعمقه يجعله كثيفا ، فيحس الرجال أنهم يغرقون أكثر من قبل و أنهم أكثر حزنا مما كانوا عليه في بداية الليل " [2]

---

[1]. منال العيسى ، التعدد اللغوي في الرواية العربية (قضايا و نماذج)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد 14، العدد 1، جامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2007، ص 206.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 268.

فالتشبيهات التي أوردها عبد الرحمان منيف لا يمكن فصلها عن سياقها العام ، فالسكان حران و منذ كتابة الراوي عنهم يحسون مرارة العيش و زاد حالهم حين كبّ الأجانب أملا في النفط ما زادهم تعبا و هما ، فعبر عن الحزن المخيم خاصة بعد التحولات في المكان.

فاستخدم " لو" غير الجازمة لتمني أهل حران كونهم في غير مكان ، و أوكدها بتكرارها عدة مرات و على عدة حالات ، مستخدما مرادفات الألم من حزن و لوعة تعبيرا أنهم وصلوا أقصاهم كمدا .

شبه الراوي أهل حران كالمساجين في أقفاص و كحيوانات مربوطة فلا تستطيع الحراك بعيدا عن ذاك المكان ، و زادهم مجازا مرسلا للعيون فجعل لها القدرة على الكلام والصراخ و التقلص و الضيق و الاستنجاد و غيرها مما يكشف الستار عن المعاناة الصامتة التي يعيشها عرب حران بلا اعتراض .

- **البناء الصرفي :**

تخلل النص الروائي للكاتب منيف عدة اشتقاقات للكلمات و نذكر :

" كانت من الأمور المألوفة إذا جاءت قافلة أو سافرت قافلة ... تأتي من المسافرين ... لأنه مسافر ؟ ... لكن المسافرين... من مسافر ... فبعد أن سافر ... اختفى ... لم يسلم أحد باختفائه ... كان اختفاء الخوش ... كاد الخوش أن يختفي " [1]

سافرت ، المسافرين ، المسافر ، سافر كلها اشتقاقات من السفر ، و كذا اختفى، اختفاء، يختفي جميعها اشتقاقات الاختفاء .

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 58-59.

و نلاحظ أيضا التعريب و الاقتراض اللغوي من اللغات الأجنبية نظرا لاحتكاك العرب بالأمريكان في الرواية ، و من الأسماء المقترضة الراديو و الذي يقابله باللغة العربية المذياع إلا أن الراوي اختار الاسم الأجنبي مترجما و كذا كلمة البركسات ، "**التراكتور، التشوتشوك ، ماتور الماء** " [1] ، الأسبرين ، فورد ، شيفروليه و غيرها .

- **الأسلوب الإنشائي :**

لم يخلو النص الروائي لعبد الرحمان منيف من الأساليب الانشائية بمختلف أنواعها والتي وظفها بطريقة تضفي تشويقا و استمرارية للعمل الفني و نذكر منها :

- **الاستفهام**

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل . [2] و هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل و ذلك بأداة من إحدى أدواته. و قد حضر الاستفهام في الرواية منذ بدايتها و كان الغرض منه معرفة الطبيعة والأشخاص لاكتشاف بناءات الرواية ، ونميز منها ما كانت موجهة لمعرفة خصوصيات وادي العيون :

"كيف انفجرت المياه و الخضرة في مكان مثل هذا ؟ ... كم بقي لنصل إلى وادي العيون ... أين أنت يا وادي العيون يا جنة الدنيا ... " [3]

و أخرى للتعريف عن شخصية سكان وادي العيون :

" و كيف يتساوى من يعمل طوال العام لكي يكسب رزقه بمن يربح أكثر المال في لحظة؟ فسكان وادي العيون لا يؤمنون بطرق الربح السريع في التجارة .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 458.

[2]. حسن جمعة ، جماليات الخبر و الإنشاء ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2005، ص 136.

[3]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 09-10

" **ما عساهم يريدون ؟ و أية أشياء في هذه الفلاة من غير الجوع و الرمل و العجاج ؟ كيف سيعيشون ؟** [1] أسئلة طرحها سكان الوادي لمعرفة غاية الأجانب زيارتهم .

" **هل جاء أجانب غيرنا ؟ هل سمعتم عن أجانب غيرنا ؟ كم بقوا ؟ هل فعلوا شيئا ؟** تساؤلات أراد الأمريكان معرفة جوابها .

" **أين الماء ؟ كيف سيجدونه ؟ هل تعرف الحكومة ما يفعلون ؟** يود السكان منها معرفة نوايا الأمريكان و اتفاق الحكومة معهم .

- **التعجب :**

التعجب هو استعظام فعل فاعل ، و هو انفعال معين يحدث في النفس عند الشعور بأمر مجهول سببه ، و تستخدم علامة التعجب للتعبير عن الغضب أو الدهشة أو المفاجأة أو تأكيد للأمر .

" **كان متعب الهذال على حق ... نعم كان على حق !**" [2] متعجبين من حذاقة متعب ومعرفته الحقيقة .

" **أصبح مثل طير أبيض و بدأ يبتعد و يبتعد حتى تلاشى ... و اختفى ! " " متعب رحل !**" متعب الهذال ذهب ما تعجب الناس له لشدة تعلقه بوطنه ، فكيف تركها ؟

" **الآن يا صاحب السمو ، تقوم بكل شيء وحدك ! " [3]** قالها حسن الرضائي مستفسرا من الأمير خالد إن كان أتقن تشغيل الراديو .

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 35.

[2]. المرجع نفسه ، ص 73.

[3]. المرجع نفسه ، ص 424.

- **التمني**

" **لو كان الولد الأول ، لو كان الوقت غير هذا الوقت** " [1] أمنية متعب الهذال

" **هزها هزا قويا لعله يخرجها من السبات القوي** " ، رغبة محمد المدور عن أم الخوش.

" لو كنا في غير هذا الوقت من السنة لحصلنا على أسعار أرخص " [2]

" لو أنها ليلة من ليالي الصيف ، لو أن القمر كان يملأ السماء ، أو لو أنها ليلة من ليالي عودة المسافرين لأمكن تفسير هذا السهر " [3]

- **النداء** : " يا أهل وادي العيون " ، " يا جماعة الخير"
- **الأمر** : " ارجعوا يا أهل وادي العيون "،
- **النفي** : " كان **لا** يبعد نظراته عن أم الخوش " ، " لا تسمع و لا تتململ " ، " لا تخف " ، "لم تجب و لم تتحرك " .

و رغم تعدد الأساليب البنائية إلا أن الاستفهام كان أكثرها في الرواية عن غيره من الأساليب الإنشائية .

ثالثا: اللغة العامية :

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 21

[2]. المرجع نفسه ، ص 127.

[3]. المرجع نفسه ، ص 215.

اللغة العامية هي ظاهرة لغوية وطريقة حديث عامة الناس ، وهي لا توافق قوانين النحو وقواعدها ، و عنصر الحوار في الرواية يميل إلى استعمالها لكونها " مجموعة من الخصائص اللغوية التي تنتمي إلى بيئة معينة ، و يشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة التي تعد جزء من بيئة أكبر تضم لهجات عدة وتتميز عن بعضها بظواهرها اللغوية ، غير أنها تتفق فيما بينها بظواهر أخرى تسهل اتصال أفراد تلك البيئات بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من حديث " (1) .

و تستخدم اللغة العامية في الرواية في الحوار لبلاغتها في التعبير و الأداء وموافقتها الواقع ، و من النقاد من رحب بوجودها جنبا للغة العربية الفصحى ومنهم من رفضها رفضا قاطعا باعتبارها ركيكة و غير مرنة .

إن استخدام لغة الحوار لغة عامية يعزز من وجود هذه اللغة التي تحمل هوية الإنسان العربي و تحافظ على تراثه و ثقافته وتساهم في تعزيز الوحدة بين أبناء العروبة ، يستطيع بها الروائي الوصول إلى القراء من مختلف الأقطار العربية ، مما يضمن لرواياته سعة الانتشار و التوزيع .

و تعد اللغة العامية ضرورية لكشف سلوك الشخوص وخلفياتهم النفسية وأحوالهم الاجتماعية و الاقتصادية وتجربة الروائي " نجيب محفوظ " التي تكللت بجائزة نوبل تدل على قدرة اللغة العامية في حمل عالم الرواية بما فيها من مواقف و شخصيات وأحداث.

و روايتنا المنتقاة كانت زاخرة باللغة العامية في حواراتها نذكر :

[1]. علي ناصر غالب ، اللهجات العربية ، لهجة قبيلة أسد ، دار حامد للنشر و التوزيع ، عمان ، 2010، ص33.

" تلفت حواليه أكثر من مرة ، بدا له وادي العيون تلك اللحظات أكثر خضرة ، قال في نفسه : أمطار السنة كانت كثيرة، قال فواز و كان لا يزال بعيدا :

- يوبه... يوبه ... البشارة قال متعب الهذال لنفسه : إذا أقبلت ... أقبلت .

ولم يتردد ، مثلما حصل في المرات... حتى سأله بطريقة تقريرية صلبة :

- قلت ، يا وليدي أن مقبل جاء ؟

تطلع الصبي إلى أبيه بارتباك ... قال و قد هدأت أنفاسه :

- جاءنا أخ .. يوبه .

قال متعب الهذال و هو يضع يده الكبيرة على رأس الصغير :

- قلت لي جاء مقبل .. ها ؟ و ضحك بصوت عال ثم أضاف :

- الله يبشرك بالخير ... يا وليدي " (1)

و كانت هذه أولى استعمالات الكاتب للغة العامية حيث أدخلها نصه الروائي و خصها للحوار بين الأب متعب الهزال و ابنه فواز اللذان فرحا ببشارة ولادة فرد جديد بالعائلة أسماه والده "مقبل" بلا هوادة أو تخمين ، فقد كانت اللغة العامية غالبة على حديث الأب وابنه وكانت الكلمة المفتاحية " يوبه " و التي تعني" أبي " من ميزت اللغتين بين الفصاحة والعامية ، واختيار الكاتب للغة العامية لا يكون إلا لسبب مقصود و هو أنها قادرة على التواصل مع القراء باختلاف ثقافاتهم و انتماءاتهم ، تجعلهم يستمتعون بالقراءة ويحاولون اكتشاف اللهجات باختلافها ما يجعل منها جذابة ، زد على ذلك أن من شروط الحوار ابتعاده عن الصعوبة وملائمة لغته للغة السرد و الشخصيات والهدف منه في هذا مقطع التماس الواقعية في روايته.

و قد التمس عبد الرحمان منيف من التعابير العامية زخرا ، نقف عند ما استوقفنا :

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 20-21.

❖ **الأمثال و الألغاز الشعبية** : و الأمثال هي حكم و أقوال مأثورة موجزة التراكيب مكثفة المعنى تتداول عبر مختلف طبقات المجتمع ، و قد أورد الكاتب لغزا واحدا "ساعة يحكي وساعة يبكي و ساعة يصلي على النبي " [1] جوابه "الراديو".

أما الأمثال و الحكم فقد أدرج عبد الرحمان منيف منها الكثير، فكان أكثر كلام العامية دررا لكل منها معنى عميق و أثر بليغ . منها ما تشابه مع الأمثال المعروفة سبقا :

- " الحجر اللي ما يعجبك يدميك " [2] و هو يماثل المثل الجزائري " العود الذي تحقره يعميك" و في معناه عدم الاستضعاف بالأشياء فأصغرها قادر على الأذية أكثر .
- " إذا جاءت المصايب تيجي غمر ، مثل السيل ، لا تبقي و لا تذر" [3] وهي مقابلة للمثل العربي " المصائب لا تأتي فرادا " بمعنى أن الشدائد تتوالى واحدة بعد أخرى.
- "أعطي الخباز خبزك و لو سرق نصفه" [4] هو مثل يشير أن يعطي الإنسان أشياءه صاحب المهنة و الأجدر بها الأعلم بخباياها حتى و لو كان أجره غاليا فعمله متقن.
- ... جماعتنا واحنى أدرى بيهم ..... إذا أقبل البخت باضت الدجاجة على الوتد ... وإذا أدبر البخت بال الحمار على الأسد " [5] و البخت هو السعد و الحظ فإذا كان الإنسان محظوظا فتحت له الأبواب دون دقها و استوت أموره دون عناء أما إذا كان قليل سعد الأقل شأنا أهانوه و ذلوه .
- " ما وراء السفر غير التعب " [6]

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 428.
2. المرجع نفسه ، ص 461-462.
3. المرجع نفسه ، ص 602.
4. المرجع نفسه ، ص 462
5. المرجع نفسه ، ص 24-25.
6. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 30

- " السفر يعلم ... الصخرة يا ابن أخي تعلم ولا تتعلم.. تسعين ابرة ما يجن مخرز ... إذا تصادق الرعيان ضاعت الغنم ... أم البيض مصيودة " [1]

فالسفر شاق و يستدعي خبرة كان ابن هذال لا يملكها فنهاه أبوه عنها، أما عن الصخرة فقد كان يقصد بها بلادة الرأس و مثله بالصخرة ، في حين مثل صداقة الرعيان فيشير به كثرة الروابط الجيدة تضيع الحقوق فلا يستطيع الإنسان طلبها حياء واختلاطها بغيرها ، " أم البيض مصيودة " فالجميع يسعى و يطمع في ذوي النعم وهو مثل يشابه " كل ذي نعمة محسود " .

- " العمل يحي الرجال " [2] الرجال ليس جمعا بل مفردا وجمعه بلهجة العامية رجالة ، و يفيد المثل أهمية العمل و فوائده على صحة الإنسان ونفسيته.
- " الدق يذوب الصفا" [3] و الدق بمعنى العنف و يقصد به في الرواية أن القوة تحل أمور البلاد و العباد إذا ما فادت السياسة .
- " أذكروا حسنات موتاكم " [4] و هو نفسه المثل العربي " و أذكروا محاسن موتاكم" موتاكم" فلا يجوز على الميت إلا الدعاء.

* و من الأمثال ما تعلق:

- **بالزمن :**

" أيام و راحت تتذكر و لا تنعاد " [1] فالزمان لا يعود إلى الوراء . "نامي والصباح رباح " [2] ، " كل شيء بوقته زين " .

---

1. المرجع نفسه ، ص 45-48.
2. المرجع نفسه ، ص 56
3. المرجع نفسه ، ص 584.
4. المرجع نفسه ، ص 403.

" بني آدم دائما عجولا " [3] و هو مثل جاء من الآية القرآنية " و خلق الإنسان عجولا" ومعنى عجولا من العجلة أي أن الإنسان جُبِل على استباق الأمور ، "الخير بالجايات، والجايات أكثر من الرايحات ... الزمان طويل ... إذا كبر ولدك فخاوه " [4] ، " أيام السرور قصار " [5] " الغايب علومه معه " [6] و العلوم تعني الأخبار أي أن أخبار الغائب نجهلها ولا ندري لها علما . " رحم الله من زار و خفف " [7] و هو مثل يطابق المثل الجزائري " يرحم من زار وخفف" و تكون الزيارة قصيرة واجبة خاصة في زيارة المريض فلا تتعب المريض فتزيد ما به من ضر و لا تكلف أهاليه . " خير البر عاجله " [8] ،" سبوع الطفرة عقبة نفرة... سلطان النهار أوله " [9]

- **بالقدر** : " من له خبزة في هذي الدنيا لابد ياكلها " [10] فلا مهرب من القضاء و القدر ، " الانسان لا يدري متى يموت و أية أرض يموت " [11]
- **بالصبر** : " الصبر طيب " [12] ، أول الغضب جنون وآخره ندم [1] فلابد من الصبر عند القلق حتى لا نقع في الندامة لا تنفع ، " العقل للانسان زينة " [2]

---

1. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 70
2. المرجع نفسه ، ص 117
3. المرجع نفسه ، ص 178
4. المرجع نفسه ، ص 24-25.
5. المرجع نفسه ، ص 216
6. المرجع نفسه ، ص 144.
7. المرجع نفسه ، ص 258
8. المرجع نفسه ، ص 255.
9. المرجع نفسه ، ص 266
10. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 198
11. المرجع نفسه ، ص 96
12. المرجع نفسه ، ص 232 .

- **بالماديات :** " المال يفتن و الطمع يعمي " [3] الفلوس تعمي " [4] " الفلوس في جيب راعيها تدفي "

بالصفات الإنسانية :

- " اللي عند الأجاويد ما يضيع [5] فأصحاب الجود و الكرم أمناء البشر. الرسول مبلغ و غير ملوم [6] و هو يماثل " ما على المرسول إلا البلاغ " فلا إثم على ما يقول و لا يعود عليه فما هو غير مبعوث بكلام غيره .
- "العين غير الأذن والتجربة غير السالفة [7] و السالفة هي الحكاية فما تراه بعينيك غير ما تسمعه من الناس فهو أصدق و ما تجربه بنفسك خير ما يروى إليك.
- " إذا مات الميت طالت عراقيبه" [8] تشبه في معناها المثل الجزائري " إذا طاح الفرد كثروا سكاكنه " و الفرد بمعنى الثور فإذا خارت قوته كثروا من يريدون ذبحه.
- " اخلع شوكتك بيدك " [9] و هو مثل عن الاعتماد على النفس و مواجهة عواقب الأفعال .
- " ابن السيف ما يبول على يد مجروح " [10] فالإنسان ينتظر فرصة حتى ينتهزها لإذلال غريمه ، " المربي قتال ... اللي ما يصل أهله ما يجيه ولد " [1] ،

---

1. المرجع نفسه ، ص 82-83
2. المرجع نفسه ، ص 248.
3. المرجع نفسه ، 356.
4. المرجع نفسه ، ص 296-297
5. المرجع نفسه ، ص 82-83
6. المرجع نفسه ، ص 82-83
7. المرجع نفسه ، ص 90
8. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 401
9. المرجع نفسه ، ص 351.
10. المرجع نفسه ، ص 354.

- " أبو الحصين في بلاده سبع " [2] و يحكي المثل عن قوة الجماعة ، فأصغر الأفراد جاها بين جماعته أقواهم عند غيره فوراءه قوم يحتمي تحت جناحهم .
- " لا تعمل خير شرا ما تلقى " [3] " اعمل خيرا شرا تلقى" فالإحسان و فعل الخير مع غير أهله بذر فاسد تذروه الرياح فيعود أشواكا فالانسان بطبعه ناكر للخير .
- " إذا رنت الطاسة طلعت ألف رقاصة " [4] حيث ما إن تقع أخبار حتى تلقى رواجا و تصبح محل ألسنة الجميع من يعلم و من لا يعلم .
- " لا توصي الحريص" [5] و في الأمثال الجزائرية يوجد هذا المثل أيضا فالتوصية و التعليمات تكون لمن لا يدري و لا يعلم أما الحريص فهو لا حاجة لتنبيهه. فالحرص والحذر واجبان .

بعدم الاهتمام بكلام الناس : " اركب الحمار و لا يهمك ضراطه " [6] فابحث سبل تحقيق أحلامك و مشاريعك واترك القوم و شأنهم يقولون ما يريدون .

و أمثال أخرى متفرقة لا تشمل حيزا واحدا منها :

- إذا بغيت الفراق اطلب ما لا يطاق [7] و هي حكمة عن طلب المستحيل فلا يكون إلا عندما ينوي العبد التعجيز .
- " الخير إذا عم عم " [1] ، " أرض الله واسعة " [2] ، " إذا جن قومك عقلك ما ينفعك " [3] ،" من حفر حفرة لأخيه وقع فيها " [4] ، " و عش يا كديش إلى حين

---

1. المرجع نفسه ، ص 296-297
2. المرجع نفسه ، ص 316.
3. المرجع نفسه ، ص 338
4. المرجع نفسه ، ص 394
5. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 346
6. المرجع نفسه ، ص 392
7. المرجع نفسه ، ص 82-83

حين ما يجيك الربيع " [5] ، " الهم ياكل القلب ، يقتل و اللي ما يدري يقول قبضة عدس " [6] ،" لولا الجرادة ما وقع العصفور " [7] .

❖ **الأغنية الشعبية** : ظهرت الأغنية الشعبية مقطعا و جملة و الكاتب رأى أن يصفها ويؤكد علاقتها المتينة بالنفس البشرية و ما يخالجها ، و قد كان الحديث عنها بارزا في عرس الدباسي بحرانية توطيدا للعلاقات بينه و بين أهل حران العرب كي يصير فردا منهم.

" – لا يمكن لأحد أن يفسر الحزن الذي يعيشه هؤلاء إلا إذا عرف الصحراء و عاش فيها، هذه الصحراء الملعونة لا تلد إلا مثل هؤلاء البشر و مثل تلك الحيوانات ... البكاء يخفف عنهم ، لكنهم قساة ، عنيدون يبكون داخلهم وهذه الدموع الحزينة تطفو مرة أخرى على شكل صرخات وتوجع يسمونها الغناء ... هذا هو الغناء الوحيد الذي يتقنوه ... انتبه ..انتبه ، الآن يريدون أن يعبروا عن فرحهم... إنهم مثل الحيوانات يدفع بعضهم بعضا ويتحركون بهذه الطريقة البدائية تعبيرا عن الفرح .. فتصور " [8] هكذا كانت آراء الأمريكانيين عن الأغاني في عرس الدباسي و التي لم يروا مثلها ما أصابهم بالدهشة فلم يعرفوا لها تفسيرا حيث كانت الأغنيات تتناقل من صويلح إلى الدباسي ثم انتقل إلى عبده محمد و رغم كونها أغاني في عرس إلا أنها كانت محملة بالأسى و الحزن تشرح سوء حالهم و أحوالهم .

---

1. المرجع نفسه ، ص 90
2. المرجع نفسه ، ص 90
3. المرجع نفسه ، ص 211.
4. المرجع نفسه ، ص 240.
5. المرجع نفسه ، ص 552
6. المرجع نفسه ، ص 349.
7. المرجع نفسه ، ص 399
8. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 261.

و ذكر الغناء أيضا في حفلة الأمير و ترحيبه بالوفد الأمريكيين في ضيافته للعشاء ، حيث أعد الأمير لهم " رقصة السيف " مشاركا مع فرقته ، و بعدها اقترح عليه ابن راشد الغناء الا أن الأمير رفض رفضا قاطعا :

" **بعدما صرنا قرباط يا ابن راشد ... إذا غنينا اليوم باكر يريدونا نرقص لهم مثل السعادين** "[1] باكر بمعنى غدا و السعادين هم القرود .

و كذا في الاحتفال بإطلاق سراح الحصيني " كان يهزج :

- **وين تولون**

الشمس من فوق و العقرب من حدرية

و الضب ينهش الخصيان

و الطيز أكلتها الواوية

وين تولون أمريكان يا زرق العيون

وين تولون ؟ " [2]

و كانت أغنية شعبية بلغة عامية ساخرة حاملة لكلمات دنيئة المستوى وصف بها الحصيني جنود الأمريكان .

❖ **الكلام اليومي المتداول :** فقد نقل الكاتب منيف أجواء الفضاءات الشعبية و الأماكن الخاصة بداية ببيت متعب الهذال و حوارات السوق و المسجد و الخطابات في المعسكر و الكلام بين السكان عن الماء و الحياة و ما يتداول من أخبار و مستجدات في حران و وادي العيون .

---

[1]. المرجع نفسه ، ص 274.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 502

- **" تعالوا نغسل أيدينا و نحضر عشانا ... ماهي علوم أبوي يا شعلان ؟ ... نلحق على السوالف ، هالحين نحضر عشانا "** [1]
- **" تعال تعال يا وليدي و سولف لي كيف صارت القصة "** [2]
- **" الحاج راح للجامع ليصلي العشا ... الفجر لا يتأخر و لا ينتظر ، و يكره كل واحد منكم جوعان و هات خبز يا عبده "** [3]

ونلاحظ اعتماد عبد الرحمان منيف للغة أخرى و هي لغة الجنس و التي لا يكون توظيفها إلا لضرورة فنية أو فكرية تخدم البناء الروائي و ينسجم مع عالم الرواية ، ويعمق من وعي الإنسان بذاته و يحسن من رؤيته لعلاقة المرأة و الرجل ليبرز العلاقة بتجلياتها الإنسانية التي تميزه عن سائر الحيوانات .

و قد تضمنت الرواية المدروسة عدة إيحاءات جنسية بالرغم من كون موضوع الجنس عند العرب منبوذ على عكس الروايات الغربية إلا أننا نجده مذكورا باعتباره حاجة إنسانية كالأكل و الشرب لا يستغني الفرد عنها .

و قد لاحظنا ذكرها من الكاتب بتحفظ و كلمات منتقاة بعناية باللغة العربية الفصيحة في حين كانت الكلمات البذيئة و المرتدية من نصيب اللغة العامية لأنها بالأصل لغة الرداءة كما يزعم البعض يجدون بها متنفسا لما لا تستطيع اللغة الفصيحة التعبير عنه بحرية أو لا يقع بمثل ايقاع اللغة العامية لغة الشارع .

و أشار عبد الرحمان اليها باحترام باللغة الفصيحة في مطالع الرواية حين كان يحكي عن خصائص أهل وادي العيون فقال :

---

[1]. المرجع نفسه ، ص 140.

[2]. المرجع نفسه ، 293.

[3]. المرجع نفسه ، ص 220-221.

" تطغى على الرجال الرغبة في المضاجعة " [1]

في هذا المقطع تكلم الراوي أن الظروف الاجتماعية و الاقتصادية من توفر الماء في الشتاء و توفر الضروريات عند البدو يعزز الرغبة كون العقل صاف ومرتاح لا يشوبه الهم و التفكير في العيش و الكسب فالصحة النفسية عامل أساسي .

و من أكثر المقاطع التي طغت فيه هذه اللغة مقطع سفينة بلاط النبي سليمان كما أسماها العمال العرب لضخامتها ، حين نزلت ، فوصف النسوة :

" طريات لامعات باسمات كالخيول بعد شوط طويل من الركض ، كل واحدة مغسولة ، قوية ، كأنها خارجة توا من حمام ساخن ، كانت الأجساد لا تسترها إلا قطع صغيرة من القماش ، سيقان شامخة ظاهرة و أقوى من الصخر ، الوجوه و الأيدي و الصدور والبطون ، كله كان يشتعل يرقص يطير ، الرجال يشتبكون مع النسوة... نسوة يشبهن الحليب و التمر معا ببياضهن المحروق ؟ هل هن زوجات أم عشيقات ؟ " [2]

فقد رسم منيف من خلال أوصافه الجذابة للنسوة صورة تستهوي النفس و تجعلها تميل إلى منحنى غير أخلاقي لطبيعة إنسانية غير ممكن التحكم فيها .

و وثق اللحظات الحميمة بين الأجانب قائلا :

" وقوف رجال و نساء عراة أو أشبه بعراة ... هجوم سريع و قبل ... تجلس المرأة في حضن أحد الرجال ... النساء حوله مضطجعات ، يداعب هذه و تلك " [3]

" لكي يرى كيف يتنا (...) الأمريكان" [1]

---

[1]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 17.

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 209-210.

[3]. المرجع نفسه ، ص 213

فنلاحظ أن الراوي وصف بأسلوب مخفف الأجواء بالرغم من تعمقه في الخصوصيات إلا أنه بقي بعيدا عن الكلمات التي من الممكن أن تعتبر غير لائقة و أوحى إليها فقط ، أو أغلق على منتصفها و لم يتم نطقها كونها معروفة .

في حين أنه جمع من المصطلحات العامية ما لا يذكر و لا يعد التي تخدم المعنى دون خجل ولا تحفظ حيث يقول :

" **أشوفك حنيت و اشتهيت ... طقت خصاوي الرجال من شوفات أمس الواحدة مثل النعجة : بياض و رخاوة ... يا ابن الزامل ... لو وقعت واحدة بين يدي** " فكانت هذه البداية بقليل من الاحترام ثم زاد الكلام حدة و جرأة في أهزوجة الحصيني :

" **الضب ينهش الخصيان و الطيز أكلتها الواوية** " [2]

و قد وصف حالة سكان حران العرب قائلا :

" **أهل حران يتابعون بأنفاس لاهثة ... ابتسامات و شهوة و صرير حاد بالأسنان أو ضربات قوية للأرض ... بدأت تظهر النسوة و تسمع الضحكات و في اللحظة أعقبت زفرة كاوية من أحد العمال ... شعروا بنوع من الدوار ، و أحسن أكثرهم بآلام حادة تمزق أجزاء معينة من أجسادهم ، و صدرت أصوات حادة تعبيرا عن هذا الألم " "لابد أن يتحولوا إلى وحوش ، فالأفضل أن يتركوا إلى أن يبردوا** "

و حالتهم كانت موحشة لبعدهم عن أهاليهم والتقائهم بمثل هذه المناظر التي تزيد من تعاستهم .

---

[1]. المرجع نفسه ، ص 219

[2]. عبد الرحمان منيف ، رواية مدن الملح (التيه) ، ص 502 .

و قد كانت لغة الايحاءات الجنسية في اللغة العربية الفصيحة مكتفية بالأوصاف الجذابة و منمقة حتى لا تأخذ بعدا غير أخلاقيا بتة ، في حين أن اللغة العامية تجاوزت الحدود الحمراء و نقل كلمات تعد بذيئة بدرجة كبيرة .

خلاصة الفصل :

التعدد اللغوي في الرواية من تجليات التشكيل اللغوي لها ، يبرز مدى تحكم الأديب في مهاراته الفنية ، و هي تختلف بحسب ميدانها ، منها اللغة الدينية والعربية الفصحى واللغة العامية واللغة الشعرية و اللغة التاريخية وغيرها الكثير من اللغات التي يوظفها الكاتب بأسلوبه و يمازج بينها ليرسم روحة أدبية خلابة .

و رواية مدن الملح" التيه" أبرز عبد لرحمان منيف فيها لمسته الإبداعية من اختياره للغات اللازمة و كيفية توظيفها في الرواية ، فلا يكون التوظيف لغة بعد أخرى بل يكون لغة تدعم أخرى وتترابط معها ، ففي مقطع واحد من الرواية بإمكاننا التعرف على عدة لغات مندمجة مع بعضها البعض تخدم البناء الفني للرواية .

ويلاحظ من دراستنا للتعددية اللغوية في الرواية المختارة توفيق عبد الرحمان منيف وإصابته في ترابطها وتوظيفها بما يخدم القيمة الجمالية للوحة الأدبية ويبرز تناسقها وترابط أفكارها.

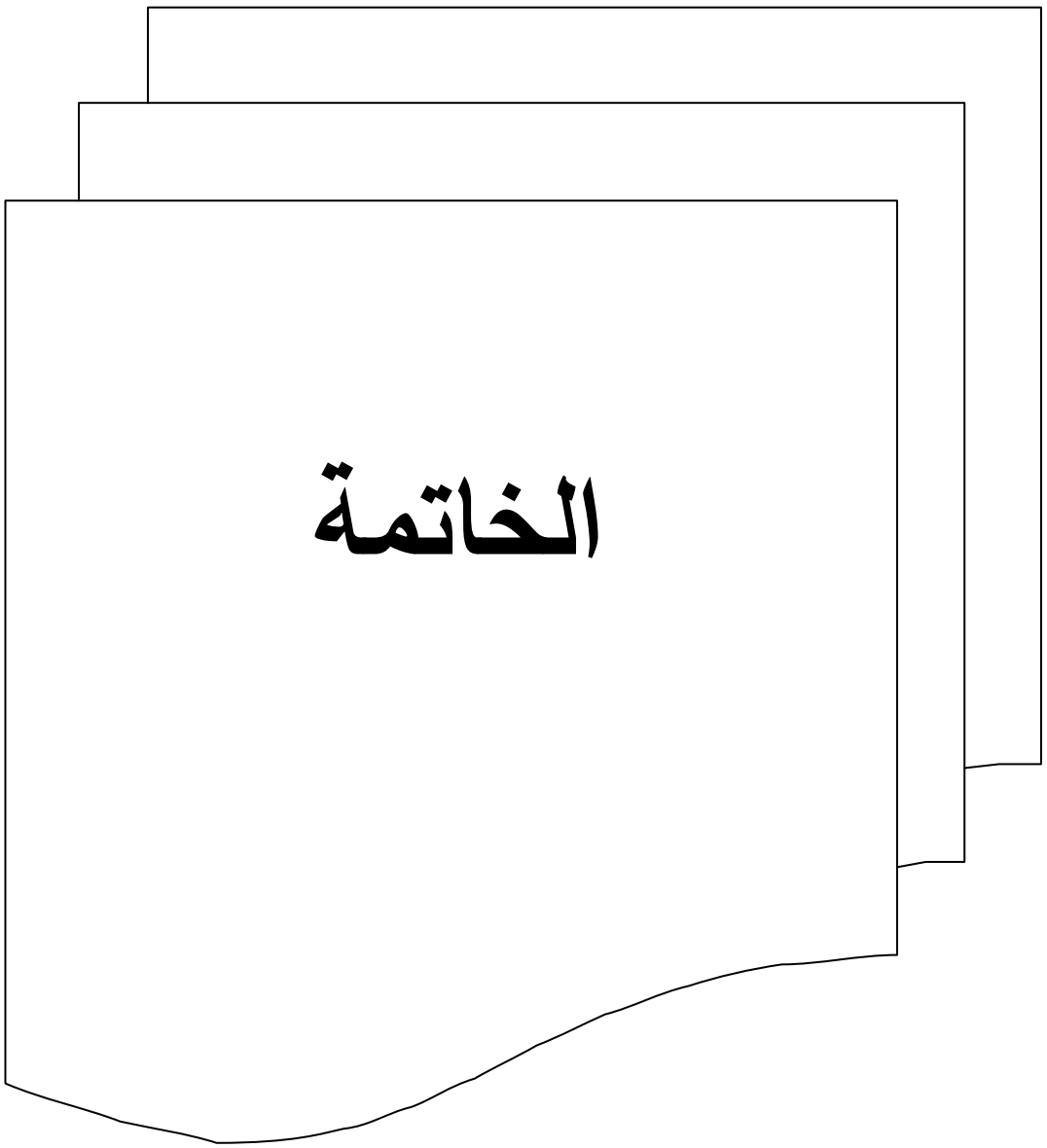
الخاتمة

و إلى هنا تكون رحلتنا في دراسة التشكيلات اللغوية لرواية مدن الملح " التيه" في نهايتها ، و مجمل القول أن الكاتب الأديب عبد الرحمان منيف تمكن من اللغة في روايته تمكنا جيدا ، فأخضعها على اختلاف أنواعها و شكلها كما أحب و أرضى ليرسم للمتطلعين على عمله الفني نظرة شاملة متكاملة توصلهم إلى غايته وهدفه الأسمى في التعريف بتاريخ اكتشاف النفط بالسعودية .

و كانت وقفتنا مع الجزء الأول لخماسيته محاولة منا لفهم و تتبع مظاهر و تجليات اللغة في الأعمال الأدبية الروائية و التي اتخذ فيها الروائي اللغة نظاما و كيانا بث فيه الروح فعدد من وظائفها و مستوياتها ، و مجمل ما توصلنا اليه :

- تشكلت أولى أجزاء مدن الملح على اعتبار الرواية كيانا لغويا اجتمع تحت طياته مختلف المكونات السردية تحت نظام اللغة التي أخرجت الرواية إلى النور و حددت طبيعتها الشكلية .
- تنوعت اللغات التي تشكلت الرواية على أساسها من لغة سردية مباشرة ومجازية هدفت لتحقيق الفهم العام للواقع المعاش و تقريب القارئ من أحداث الرواية بلغتها البسيطة هادفا للخروج من من الصيغة التقريرية الإخبارية التي تفقد النص الأدبي بلاغته و قيمته.
- و امتزجت لغة الحوار باللغة العامية و اللغة الدينية و غيرها من اللغات ليبرز الخطاب في أبهى حلته و يتشكل على جمالية تثير الرغبة في النفوس بالاطلاع على باقي الرواية و خرج بلغة الحوار عبد الرحمان منيف من قواعد اللغة العربية الفصحى و قيودها إلى بساطة اللغة لما تحدده اللغة العامية من شخوص وعلاقتها و مستواها الثقافي .
- و كانت لغة الوصف ملتصقة لحد كبير مع لغة السرد فلا يمكن الفصل بينهما وكان لها جمالية خلابة لكسر عجلة الملل في السرد ، فقد وصف عبد الرحمان

منيف الشخصيات و عرّف بمكنوناتها و مستوياتها الثقافية و دلالتها في الرواية و أهميتها ووصف الأزمنة بتعاقبها كل سنة و كل فترة بما جال فيها من مميزات و سمات جعلت منها تختلف عن نظيراتها ، و حتى الحيز المكاني نال نصيبه من الأوصاف و النعوت .

- يعد التعدد اللغوي في الرواية المختارة دليلا ملموسا يوحي بوعي الكاتب بأهمية اللغة و دورها الفعال الذي تلعبه في خضم العمل الأدبي .
- اتسمت رواية " التيه" ببعد فني مميز لجعلها اللغة مادة مرنة تظهر بأشكال ووظائف غير العادة ما أبرز الحمولة الدلالية و أحدث الأثر الرمزي للغة .

و نشير أن هذه الوقفة القصيرة مع بداية خماسية عبد الرحمان منيف ما هي إلا نقطة في بحر غاصه الروائي مستحضرا جل جوارحه و أدواته الفنية ليمازج أبرز التشكيلات اللغوية و مستوياتها مبرزا انفتاح رؤياه و تعدد معارفه و مهارته في تطويع اللغة بما يناسب العمل الأدبي .

قائمة المصادر والمراجع

❖ **المصادر:**

1) عبد الرحمان منيف ، مدن الملح التيه، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط11، بيروت، لبنان ، 2005.

❖ **المعاجم و القواميس :**

2) ابراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، اسطنبول ، تركيا ، د.ط، د.س.

❖ **الكتب و المؤلفات :**

3) ابراهيم الحاج علي ، الزمن النوعي و إشكاليات النوع السردي ،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت ، لبنان ، ط 1 ،2008 .

4) أحمد رحيم كريم ، المصطلح السردي في النقد العربي ، دار الصفاء للنشر، عمان ، الأردن ، 2012.

5) أوستن وارن ورينيه ويليك، نظرية الأدب ، ترجمة :محي الدين صبحي ، مراجعة : حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية للنشر والتوزيع ، 1972.

6) جمعة محمد علوة وآخرون ، دراسات نظرية تطبيقية في اللغة العربية ، دار الكندي ، الأردن ، ط1، 2002.

7) جيرالد برانس ، المصطلح السردي ، تر: عابد خزندار ، المجلس الأعلى للشفافة ، الجزيرة ، مصر ، ط1، 2003.

8) حسن جمعة ، جماليات الخبر و الإنشاء ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2005.

9) سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، 2005.

10) الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي،دار الجنوب للنشر، تونس،2003، ط2.

11) صبحة أحمد علقم ، تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية الرواية الدرامية أنموذجا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، 2006.

12) عبد الرحمان منيف ، رحلة ضوء تحديات تواجه الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2002.

13) عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب و قضايا النص ، دار المقدس العربي، وهران ، الجزائر ، ط1، 2009.

14) عبد القادر شرشال ، خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي، دراسة تحليلية ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية بيروت ، مصر ، 2005 .

15) عبد المنعم زكريا القاضي ، البنية السردية في الرواية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية ، مصر ، 2008 .

16) علي ناصر غالب ، اللهجات العربية ، لهجة قبيلة أسد ، دار حامد للنشر و التوزيع ، عمان ، 2010.

17) عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمانية و المكانية في موسم الهجرة الي الشمال) ،دار هومة ، الجزائر ، 2010 م.

18) فاضل ناهي عبد العون ، طرائق تدريس اللغة و أساليب تدريسها ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط2، 2014.

19) مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، لبنان ، ط1، 2004 .

20) ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، تر: محمد برادة ، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987.

21) نفلة حسن احمد ، تقنيات السرد و آليات تشكيله الفني ، دار غيداء ، عمان، الأردن ، ط1، 2010.

❖ **الأطروحات و الرسائل الجامعية :**

22) أحمد حمد النعيمي ، ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، رسالة ماجستير ، إشراف : ابراهيم حسين الفيومي ، كلية الأداب ، قسم اللغة العربية و ادابها ، جامعة اليرموك ،2002م، ص 40.

23) جميات منى ، التشكيل اللغوي في رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح ، مذكرة ماجستير في مشروع الرواية العربية بين الكلاسيكية و الحداثة في الجزائر ، جامعة تيارت ، 2010-2011.

24) زينب عبد الرضا، المرأة في القصة النسوية القصيرة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية بنات ، جامعة بغداد، 2001.

25) محمد أمين شيخة ، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث ، رسالة دكتوراه ، جامعة بسكرة ، 2009/2008.

❖ **المجلات و الدوريات :**

26) ابراهيم عبد الله ، التمثيل السردي في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة علامات ، العدد 16، المغرب ، 2004.

27) أحلام مناصرية ، جماليات لغة الوصف في الرواية النسوية الجزائرية مجلة المدونة ، المجلد 07، العدد 01، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2020.

28) عبد المجيد بلخوص ، ليلى قاسحي ، التشكيل اللغوي و الصوتي في الرواية الجزائرية _رواية الموت في وهران للحبيب السايح أنموذجا_، مجلة اللغة العربية ، المجلد 21، العدد 46، جامعة الجزائر ،2019.

29) مراد رفيق البياري ، سعد عبد الله مقداد ، حسام محمد عزمي العفوري ، التشكيل اللغوي في شعر تميم البرغوثي –دراسة في المستوى التركيبي– قصيدة " في

القدس" أنموذجا ، مجلة الزرقاء للبحوث و الدراسات الانسانية ، المجلد 21، العدد 02، 2021.

30) منال العيسى ، التعدد اللغوي في الرواية العربية (قضايا و نماذج)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد 14، العدد 1، جامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2007.

قائمة الملاحق

1. نبذة عن الكاتب عبد الرحمان منيف
2. شخصية الكاتب و أعماله
3. لمحة عن خماسية عبد الرحمان منيف" مدن الملح"
4. ملخص التيه (الجزء الأول من مدن الملح)

1. نبذة عن الكاتب عبد الرحمان منيف:

وُلد عبد الرحمن لعائلة سعودية – عراقية في التاسع والعشرين من مايو/ أيار عام 1933 في الأردن، ومن ثم تنقل في مدن مختلفة للدراسة والعمل إلى أن استقر إلى نهاية حياته في دمشق. "تلقى تعليمه المدرسي في الأردن وبعد انهائه لدراسة الثانوية في عمّان أخذته أمّه العراقية (وهناك مَن يقول أن جدته لأمّه هي العراقية) إلى بغداد سنة 1952 حيث استقرّ هناك طالباً في جامعتها يدرس في كلية الحقوق ." [1]

لكنه سُرعان ما تعرّض للطرد من العراق على يد النظام الملكي سنة 1955 (بُعيد توقيع معاهدة حلف بغداد) بسبب نشاطه السياسي (انضمّ إلى حزب البعث العربي الاشتراكي) فانتقل بعدها إلى مصر ليتابع دراسته في جامعة القاهرة .

وبعد تخرّجه سافر إلى يوغوسلافيا سنة 1958 وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة بلغراد سنة 1961. عاد منيف بعدها إلى سوريا ليعمل في قطاع النفط ومن عاد بعدها إلى بيروت وانُتخب عضواً في القيادة القومية في الستينيات لفترة وجيزة. وبعدها اشتغل في الصحافة .

وفي العام 1975 رجع إلى العراق حيث تولّى مسؤولية تحرير مجلة "النفط والتنمية" وبقي فيه إلى 1981 حين غادره (بسبب مُعارضته للحرب العراقية الإيرانية ولحُكم صدَّام حسين) إلى فرنسا. وفي العام 1986 عاد إلى سوريا حيث بقي فيها إلى أن توفّى عام 2004 .

---

[1] .https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/9/25/%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%8A%D9%81

هكذا كانت حياة الأديب النجديّ تنقّلات متواصلة في بلاد الشام والعراق ومصر، تخلّلتها فترات في أوروبا من دون أن يكون لوطنه الأصلي منها نصيب. فمعارضته الصلبة والمبدئية لنظام آل سعود بقيت معه إلى آخر يوم في حياته .

" و يروي الصحافي الكويتي نجم عبد الكريم أن الروائي عبد الرحمان منيف في أواخر عمره، وعندما أصيب بالفشل الكلوي أرسل له الأمير عبد الله بن عبد العزيز مَن يعرض عليه العودة إلى السعودية مع وعدٍ بالعفو عنه بل والرعاية والعلاج، لكنه رفض رغم المُعاناة وضيق الحال وفضّل البقاء في دمشق إلى أن مات فيها، وقد أوصى زوجته بألا تقبل أيّ عرض لدفنه في السعودية.

وقبل ذلك كان قد رفض عرضاً من الأمير عبد العزيز بن فهد بتحمّل نفقات إرساله للعلاج في أية دولة في أوروبا .

و منيف رفض حتى تسلّم مبلغ نقدي كبير أرسلته له جهات في السعودية من خارج العائلة الحاكمة، وقال لمَن جاء ليعطيه المبلغ في المستشفى إن هذا المبلغ هو محاولة لشرائه، وهو يأبى أن يبيع نفسه!

هذه المواقف الحادّة من النظام الحاكم في السعودية ليست مُسْتَغْرَبة من الرجل الذي كتب "مدن الملح"، بل المُسْتَغْرَب سيكون لو أنه قبِلَ عطاياهم وعادَ وتاب." (1)

فسلسلة "مدن الملح" هي بلا شك أعظم وأهمّ عمل أدبي/تاريخي عن السعودية ومجتمع نجد والحجاز في القرن العشرين .

---

[1] .http://almawqef.com/spip.php?article18606&lang=ar

2. شخصية الكاتب و أعماله :

أثرى عبد الرّحمن منيف المكتبات العربية بتحفٍ سردية، جعلت منه كاتبًا يتبوّأُ مكانةً مرموقة في تاريخ الأدب العربي، وقد اتّسمت معظم رواياته بحسٍّ تاريخي قد لا يخفى على القارئ. ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا لم نعتبر عبد الرّحمن منيف روائيًا ومؤرّخًا في الوقت نفسه؛ نظرًا لاتكائه وتعامله المباشر مع وثائق وأحداث تاريخية شهدتها المنطقة العربية عمومًا، والمملكة العربية السعودية على وجه التحديد، ليدبّج نصوصًا سرديّة باذخة، توزّعت بين الرواية والقصّة والسيرة الذاتية. وقد اعتنى معظم النقّاد العرب بأعماله، وتواطؤوا على تناول تقاطع الجانب الروائي مع الحس التاريخي .

ذلك أن أعماله الأدبية الرائعة كانت تغطّي طيفاً واسعاً من البلاد العربية في آسيا .ومن أبرزها :

- "شرق المتوسّط "
- و"سيرة مدينة "
- و"أرض السواد"
- وصولاً إلى "مدن الملح"،

" ونضع "العربي" بين قوسين عن قَصْدٍ لأن صفة "العربي" هي وحدها التي تليق به. حيث جسدت أعماله الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي العربي بكل أزماته وتشعباته ما أدى أن سحبت منه السعودية جنسيته. وعدا عن مواضيع أعماله، فإن صفة "العربي" هي أكثر ما يناسبه من ناحية شخصية! فهو من نجد في جزيرة العرب ولكنه ليس سعودياً (سُحِبَت منه الجنسية السعودية)، بل ربما لم يعشْ في بلده الأصلي قط ! " [1]

[1] .http://almawqef.com/spip.php?article18606&lang=ar

3. لمحة عن خماسية عبد الرحمان منيف " مدن الملح" [1]

"مدن الملح" هي رواية تاريخية، زاوجت بين جنسٍ أدبيٍّ مرموق يسعدُ بمكانة كبيرة في تاريخ الأدب، وبين منهجية التاريخ، الأمر الذي جعل منيف يحملُ صفتين لا تقلّ إحداهما عن الأخرى شأنًا: روائي ومؤرخ. في تناول منيف للتاريخ السعودي الحديث، في خماسيّته، عاد إلى التاريخ الحقيقي المكتوب والمتوارث، وابتكر أحداثًا لم تحدث، معتمدًا في ذلك على التخييل؛ وهو العنصر الأساسي من العناصر التي تطبعُ الرّواية التاريخية.

إنها عملٌ ملحميّ حقيقي يتكوَّن من حوالى 2500 صفحة كتبها عبد الرحمن منيف ما بين 1984 – 1989 في خمسة أجزاء سمّاها "التيه"، "الأخدود"، "تقاسيم الليل والنهار"، "المنْبَتّ" و"بادية الظلمات."

وعاد منيف إلى التاريخ ليقرأه بعين فاحصة، حتى يتمكّن من بناء معمار سردي تحركه شخصيات لها دور فعّال في تشابك الأحداث، وهي شخصيات تكاد تكون أقرب إلى الحقيقة. عاد منيف إلى التاريخ ليدرسه برؤية متبصرة، ليدرك أنّ ما تعيشهُ السعودية في الفترة التي عاصرها ما هو إلّا امتدادٌ للماضي، الشّيء الذي حرّضهُ أكثر فأكثر للنّيل من آل سعود.

قراءة "مدن الملح" تحتاجُ إلى نَفَسٍ طويل، وإلى تركيزٍ وانتباهٍ شديدين. عنوان الرواية مُعبّر وناطق بما يكفي. هذه المدن هي من ملح، إذا هطل عليها المطر فإنها ستنهار من دون شك. إنها مدنٌ شاسعة ببناياتٍ شاهقة وشوارع ضخمة وبنية تحتية رفيعة، لكنها مُصطنعة وليست حقيقية، بلا عُمق ولا جذور. إنها دول من إنتاج مقاولين وأجانب ومُنتهزي فُرَص قبضوا ثمن شغلهم نقداً وسَلَفاً.

---

[1] .http://almawqef.com/spip.php?article18606&lang=ar

عنوان الرّواية (مدن الملح) " يحتاج إلى وقفة تدبرٍ وإمعان، من أجل فهم المغزى من ابتكاره. "المدن تبنى بالإسمنت وبكلّ ما هو قادرٌ على مواجهة تقلبات الطبيعة عبر البنى التحتية المتينة والمتماسكة، وتضمّ هذه المدن كثافة سكّانية استطاعت صنع نمطٍ للعيش خاصّ بها، بيد أنّ مدن الملح التي تكلّم عنها منيف هي مصنوعة من ملح، فإذا تجبّرت الشمس في كبد السماء مطلقةً أشعتها الحارقة، أو تهاطلت الأمطار كشلالٍ هادر، فإنها ستتلاشى وتنهار.

يلمّح منيف، انطلاقًا من عنوان روايته، إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي أنّ المدن التي شيّدتها الثروة النّفطية ينتظرها الأفول في العقود القادمة، من دون أدنى ريب؛ لأنّ تلك الثروة لم تستثمر بشكلٍ جيد وتوزع بعدل، بل احتكرتها الطبقة الحاكمة لتفرز صراعًا محتدمًا على السلطة والمال.

عرفت المدن في منطقة الخليج نموًا متسارعًا، لتصبح مدنًا عملاقة تضاهي مدن الغرب من ناحية الشّكل والهندسة؛ إذ شيّدت فيها أبراجًا عملاقة من طرازٍ عالٍ ومبهر، وبنايات شاهقة وشوارع شاسعة بحرفيّة وإتقان، ليخرج سكان المنطقة من تلك الحياة البدوية البسيطة إلى حياة جديدة عليهم صنعها النفط. " (1)

استطاع النفط أن يبني المدن الكبيرة ومنح السلطة بدون وجه حقّ لطبقةٍ معيّنة، فهو نعمة لكنه تحوّل إلى نقمة، إذ احتكرت عائداته السلطة الحاكمة لتزيد من قوّتها وبطشها.

---

1 .https://www.harmoon.org/contributions/%D8%AD%D8%B6%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%91%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9%D8%9B-%D9%85%D9%8F%D8%AF/

اكتشاف النّفط في منطقة الخليج عمومًا، وفي السعودية خصوصًا، كان له عقابيل تتمثّل في احتكار الحكّام لهذه الثروة الطبيعية وترك عوّام النّاس يتخبّطون في برك الفقر والإملاق.

مثل هذه المشاهد هي التي أجّجت نار الحقد بداخل عبد الرحمن منيف تجاه من يتربّعون على عرش السلطة ليكتب رواية (مدن الملح)، وكانت غايته، من بين غايات عدة، هي النيل من الأسرة الحاكمة.

ضمّت رواية (مدن الملح) جدالًا حادًّا بين الماضي الذي غلبت عليه البساطة والانغلاق والحاضر المهزوم والمستقبل الغامض، وهذه إحدى السمات التي تتصف بها الرّواية التاريخية.

يرمي عبد الرّحمن منيف، من خلال هذه الرّواية الجديرة بكل الاهتمام، إلى التنظير للتحول العميق الذي عرفه المجتمع السعودي بعد اكتشاف آبار النفط، الذي عجّل بتشييد مدنٍ وصفها بـ "مدن الملح"؛ مدنٌ قد تنهار في أي لحظة. النفط احتكرته فئة معينة لتصنع به حياة الترف والبذخ، وتعمّق جراح المغلوبين، وتأجج المآسي. لم يكتب منيف هذه الرواية فقط معتمدًا على التاريخ فقط، وإنما انطلق أيضًا من تخصصه: اقتصاديات النفط الذي نال فيه الدكتوراه من جامعة بلغراد الصربية سنة 1961.

خماسية مدن الملح هي رواية " تجمعُ بين التخييل والواقع التاريخي النصي. ومن ثم فإن اجتماع المتخيل والواقعي فيها على أساس التعاضل ينتج كونًا خياليًا تضمحلّ فيه العلاقة التقابلية القائمة على الانعكاس، وتحلُّ محلّها علاقة تواشج وتنافذ تقوم على الحوار، لا باعتباره أسلوبًا من أساليب القصّ، بل باعتباره خصيصة بنائية من أبرز خصائص الرواية أطلق عليها باختين اسم الحوارية " . (1)

---

[1]. محمد القاضي، **الرّواية والتاريخ**، دار المعرفة للنّشر، تونس، ط 1، 2008، ص80.

4. ملخص التيه (الجزء الأول من رواية مدن الملح):

بدأت أحداث هذه الرواية الملحمية من "وادي العيون"، وهي المنطقة التي شهدت تفجُّر ثروة النّفط لتبدأ معالم مأساةٍ ستعصف بساكنة المنطقة. في وادي العيون، نشأ وترعرع بطل من أبطال الرواية هو "متعب الهذّال" الذي يحملُ قيّمًا سامية أقرب إلى الحلم، وقد تفنّن منيف في بناء هذه الشّخصية ووصفها بدقّة عالية.

وضع منيف "متعب الهذّال" كنموذج للمقاومة في "وادي العيون"، بعد دخول الشركات الأجنبية، وقد سار على خطى والده "جازي الهذال" الذي لم يتوانَ في التصدّي بثبات للأتراك.

عرفت منطقة وادي العيون تحولات عميقة جدًا، خصوصًا بعد الوفد الأجنبي الذي حلّ بها، وقد سعى إلى نشر القيّم والأفكار التي يحملُها في وادي العيون الشيء الذي أدّى إلى حدوث اصطدام بين السكان المستقرين في الوادي وبين الوفد الأجنبي. نستشف من هنا أنّ عبد الرّحمن منيف حاول رصد التحول الذي رافق اكتشاف النّفط، وتأثيره على حياة النّاس.

تناولت الرواية قضيتي النّفط والصحراء، وكيف أثرت البيئة والثروة النفطية على نمط العيش؛ حيث تغيّرت الأفكار والقيّم والمبادئ، التي كانت تعيشُ تكاملًا معرفيًا وثقافيًا وإنسانيًا.

صَوّر انفجار النفط في صحراءٍ مترامية الأطراف، والذهول الذي أصاب الناس بعد ذلك، بأسلوب شائق وبديع، وبيّن تمكنه من امتلاك مقاليد اللغة، حيث وظّف لغة باذخة، واستعمل كلمات من اللهجة العامية للمنطقة، وكأنّه يؤكد أنّ خماسية مدن الملح وجّهت أساسًا إلى السعوديين، ولكن يمكن تعميمها، إلى حدٍّ ما، على باقي الأقطار العربية. أبان

منيف عن علو كعبه في السرد، وشيّد معمارًا سرديًا بدقّة كبيرة، ولو أنّ إيقاع السرد في بعض الأحيان كان بطيئًا، ولا سيما أثناء تفنّنه وتلاعبه باللغة في وصف تفاصيل الشّخوص والأماكن والتغيرات التي لحقت المنطقة، وفي هذا المضمار فإنّ منيف كان عبقريًا في ابتكار الشخوص، لأنّه جعل كل شخصية من شخصيات الرواية لها دور فعّال في تحريك الأحداث، فكل شخصية هي بطلة الرواية تماشيًا مع الأحداث والزمان والمكان، وتظهر وتختفي على حين غرة.

قبل أن يبدأ منيف سرد الانتقال الذي أثر في مجرى حياة المجتمع من جرّاء اكتشاف النّفط، عاد إلى زمن ما قبل النّفط الذي طغت عليه البساطة في العيش والقيم النبيلة، قبل دخول الشّركات التي استفادت من هذه الثروة الباطنية، إذ في اعتقاد عبد الرّحمن منيف لا يمكنه أن يبدأ في سرد الأحداث التي شهدتها المنطقة بعد ظهور النفط من دون أن يقارنها بفترة ما قبل النّفط. وقد اتّسم زمن ما قبل النّفط "بالسلبية وعدم التأثير في حياة الإنسان بصورةٍ واضحة، فهو زمن غير محدّد ومتشابه". وكان هذا الزمن أيضًا "مجرّد سيولة زمنية تتراكم، داخل جدل الولادة والموت، والقحط، والجفاف، والجراد والجوع والوفرة والمواسم الطيبة".

على خلاف زمن النفط الذي تميز بخاصيات عدة:أولًا: "زمن متسارع، (...) بالتوالي وأحيانًا بالانكسار، وكأنّ حاضر الناس يكمن دومًا في هذه العودة إلى ماضيهم، يرتدُّ الزمن إلى ماضٍ له، ويرتد وهو يتقدم باتجاه الناس ليروا كيف قضوا ليلتهم، وكأنّ كلام الحاضر هو رواية الماضي"[.

أكّد عبد الرّحمن منيف، من خلال هذا التمييز الذي ورد في روايته بين زمنين: زمن ما قبل النّفط / زمن ما بعد النّفط، ذلك، أنّ الزمن العربي عرف تحولًا كبيرًا، حيث "بدأ الزمن يتحدد أكثر فأكثر، وأخذ هذا التحديد يغزو حياة ناس وادي العيون"

الملخص :

الرواية جنس أدبي زاخر ومميز ، اكتسب شعبيته لملامسته الواقع معتمدا على عدة آليات منها القدرة على استخدام اللغة و تطويعها و تنويعها في العمل الفني ، و قد تناولت هذه الورقة البحثية قراءة في جماليات التشكيل اللغوي لرواية " التيه " أولى خماسيات " مدن الملح " للكاتب عبد الرحمان منيف و التي تعتبر زاخرة بالتشكيلات اللغوية من لغة عربية فصيحة إلى اللغة العامية والى اللغة الدينية و غيرها الكثير جمعها الروائي بمهارة عالية متمازجة مع لغة السرد و الحوار و الوصف لينتج رواية فضاءها منفتح شيق يحمل بعدا بلاغيا و دلاليا .

الكلمات المفتاحية :

الرواية ، لغة السرد ، لغة الحوار ، لغة الوصف، العناصر السردية، التعدد اللغوي .

Abstract :

The novel is a rich and distinctive literary genre, which has gained popularity for touching reality based on several ways ,Among them is the ability to use language, adapt it and diversify it into artwork,and this paper has read in the aesthetics of the linguistic composition of a novel. The first pentagon, "Cities of Salt," by Abdul Rahman Munayev, is abundant in language formations from an eloquent Arabic language to vernacular, religious and many others.

Keywords:

Novel, narrative language, dialogue language, description language, narrative elements, multilingualism.

الفهرس:

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل : التشكيل اللغوي في الأدب الروائي / مفاهيم عامة	
1. مفهوم اللغة	5
2. مفهوم النص الأدبي	5
3. مفهوم لتشكيل اللغوي	6
4. مفهوم الرواية	8
5. مفهوم السرد و الحوار	9
الفصل الأول : تجليات التشكيل اللغوي في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف	
أولا : لغة السرد	15
1.اللغة السردية المباشرة	15
2. اللغة السردية المجازية	19
ثانيا : لغة الحوار	20
1. لغة الحوار الداخلي	20
2. لغة الحوار الخارجي	22
ثالثا : لغة الوصف	25

1. لغة وصف الشخصيات	26
2. لغة الزمان و المكان	32
الفصل الثاني : التعدد اللغوي في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف	
أولا : اللغة الدينية (العقيدة الإسلامية)	47
ثانيا : اللغة العربية الفصيحة	54
ثالثا : اللغة العامية	64
رابعا : لغة الجنس	74
الخاتمة	79
قائمة المصادر و المراجع	82
قائمة الملاحق :	
1. نبذة عن الكاتب عبد الرحمان منيف	
2. شخصية الكاتب وأعماله	
3. لمحة عن خماسية عبد الرحمان منيف " مدن الملح"	
4. ملخص " التيه" (الجزء الأول من رواية مدن الملح)	